

محافظة خميس مشيط

كما قرأت عنها ورأيتها (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس (الطبعة الأولى) (الرياض: مطبع الحميضي، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م). (الجزء الحادي عشر)، ص ص ٢٣٣ - ٢٦٨ . (الطبعة الثانية / ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م)، ص ص ٢٣٣ - ٢٦٨ .

ثانياً: محافظة خميس مشيط كما قرأت عنها ورأيتها

بعلم أ. د. غيثان بن علي بن جريس .

| الصفحة | الموضوع | م |
|--------|--|----|
| ٢٣٣ | صفحات مما كتب عن خميس مشيط (بلاد جرش، أو ذهبان) قديماً وحديثاً | ١. |
| ٢٥١ | خميس مشيط كما رأيتها وشاهدتها | ٢. |

١- صفحات مما كتب عن خميس مشيط (بلاد جرش، أو ذهبان) قديماً وحديثاً

مدينة خميس مشيط اسم حديث، لكنها جزء من مخلاف، أو بلاد جرش، وقد أشارت بعض المصادر الإسلامية إلى أرض جرش وكيف استوطنها أهلها قبل الإسلام^(١)، وهناك عدد من الروايات ذكرت سبب تسميتها بـ(جرش) ومنهم من أعاد تسميتها إلى أن أناساً نزلوا بها وأثاروا أرضها فسميت جرش لأنهم زرعوا ببلادها واجترشو فيها، ويقصد بالاجتراش الإقامة وعمارة الأرض^(٢). ويقال إنها سميت باسم جرش بن أسلم الذي يعود نسبه إلى حمير بن سباء، ويدرك أنه أول من سكنها، وهناك أقوال أخرى تشير إلى أن جرش يدعى زيد وقيل منه^(٣). ويورد ياقوت الحموي نقلًا عن أبي المنذر هشام بن الكلبي قوله "جرش قبائل من أبناء الناس تحرشوا، وكان الذي جرشهم رجل من حمير يقال له زيد بن أسلم، خرجوا بشور له عليه حمل شعير في يوم شديد الحر فشدوا الثور، فطلبه فاشتد تعبه، فحلف لئن ظفر به ليذبحنه ثم يجرش الشعير وليدعون على لحمه، فأدركه بذات القصص عند قلعة جرش، وكل من أجا به وأكل معه يؤمئذ كان جرشياً"^(٤).

وفي القرون الإسلامية المبكرة والوسطية نجد عدداً من المصادر تشير إلى موقع مخلاف جرش، وسكنها، وبعض الحروب التي وقعت فيها، ونماذج من الصور

(١) انظر، لسان العرب لابن منظور (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج٤، ص ١٩١-١٩٢، ابن هشام، السيرة النبوية (طبعة بيروت، د.ت.) ص ١٩، ٢٠، البكري، معجم ما استعجم (بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ج١، ص ٣٧٦.

(٢) المصادر نفسها، وللمزيد انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت، دار صادر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج٢، ص ١٢٦.

(٣) انظر البكري، معجم ما استعجم، مج١، ج١، ص ٢٧٦، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٦، علي ابن حزم، جمهرة أنساب العرب (بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م)، ص ٤٣٦، ٤٧٨، الحسين ابن الوزير المغربي، الإيناس في علم الأنساب (الرياض، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص ١٠٢، ١٢٩.

(٤) انظر : ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٦.

الاجتماعية والاقتصادية التي عاشها الجرشيون^(١). والهمданى من أهل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) يعطى صورة شبه واضحة لبلاد جرش، فيذكر عنواناً جانبياً سماه: جرش وأحوازها، فقال: "جرش هي كورة نجد العليا، وهي من ديار عنز بن وائل، ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير، وهم ولد يريم ذي مقار القيل، ولهم سؤدد، وجابة اليمانية في أرض نجد إليهم، وهم يقومون معهم بحرب عنز، وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدعون الجزائريين من موالي قريش، والغاز من نزار من الغرباء، وهم رابطة لعنز على العواسج، ويملي إليهم عنز بصرخها ونجدتها، وجرش في قاع، ولها أشراف غريبة بعيدة منها تنحدر مياهها في مسيل يمر في شرقها بينها وبين حمومة ناصية تسمى الأكمة السوداء (حمومة)، ثم يلتقي بهذا المسيل أودية ديار عنز حتى تصب في بيشه بعثمان، فجرش رأس وادي بيشه، ويصالى قصبة جرش أوطان حزيمة من عنز، ثم يؤطن حزيمة من شاميها عسير، قبائل من عنز، وعسير يمانية تزرت، ودخلت في عنز، فأوطان عسير إلى رأس تيه، وهي عقبة من أشراف تهامة، وهي أبها ..."^(٢). ويسرد الهمدانى موقع وقرى وأقوام عديدون استوطنوا مدينة أبها وأجزاء من أحد رفيدة وخميس مشيط^(٣).

وبقي اسم جرش هو الغالب على مدينة أبها وبلدات خميس مشيط وأحد رفيدة حتى القرن السابع الهجرى . ونجد بعض المصادر اليمانية وبخاصة ما يتعلق بسير بعض

(١) للمزيد انظر بعضًا من تلك المصادر مثل: الحسن الهمدانى، صفة حزيرة العرب (الرياض، ١٤٩٧هـ/١٩٧٧م) ص ٢٢٨ وما بعدها، ابن خرداذبة، كتاب المسالك والممالك (ليدن، مطبعة بريل، ١٤٠٦هـ/١٨٨٩م)، ص ١٣٣ وما بعدها، أحمد البيقوبى، كتاب البلدان (ضمن كتاب الأخلاق النفسية لابن رستة) (ليدن: مطبعة بريل، ١٤٩١هـ/١٨٩١م)، ص ١٤٣ وما بعدها، أبو الفرج قدامة، نجد من كتاب الخراج (ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة) (١٤٠٦هـ/١٨٨٩م)، ص ١٨٨. انظر أيضًا، غيشان بن جريس "تاريخ مخلاف جرش" (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى" منشور في مجلة العصور، مجل (٩)، ج ١ (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص ٦٢ - ٧٨ . والبحث نفسه منشور في كتاب ابن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراء (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ج ١، ص ١٢٦ - ٩٢.

(٢) الهمدانى، صفة حزيرة العرب، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .
 (٣) نعم الهمدانى ذكر (أبها) ولم يذكر أحد رفيدة أو خميس مشيط، لأنها لم تكن معروفة بهذا الاسم آنذاك، ولكن كان هناك أمكنة عديدة ضمن هاتين المحافظتين في عصر الهمدانى، وما زال بعضها يحمل نفس المسميات حتى وقتنا الحاضر مثل: تيه، والدارة، وطبع، وتنحة، والقراء، والمسقى، وتنمية، وبيني جابرية، وكود، وكنتنة وغيرها. انظر الهمدانى صفة حزيرة العرب، ص ٢٥٨ - ٢٥٥ . حيث أن نرى باحثًا جادًا فيدرس الأمكانة التي وردت في كتاب الهمدانى (صفة حزيرة العرب) ثم يقارنها مع الموضع التي مازالت تحمل نفس الأسماء القديمة حتى اليوم ..

الأئمة الزيدية فتذكرة أمكنة عديدة في سروات قحطان وشهران، لكنهم لم يفصلوا الحديث عن مخلاف جرش كما فعل الهمданى، كما أنهم لم يذكروا أي شيء عن أرض الخميس، مع أنهم أشاروا في موقع عديدة إلى سروات قحطان وشهران، وإلى بعض المواقع الصغيرة في البلدان الشهرانية مثل: بيشة وترج وغيرها^(١).

وفي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادى) لا تذكر المصادر جرش، ولا ندري ما هو سبب اختفاء اسمها، هل هي حروب جرت بين أهلها حتى ضاع هذا الاسم التاريخي واندثر؟ ونجد ابن المجاور، من مواليد عام (١٤٠١هـ / ١٢٠٧م) يشير إلى البلاد السروية المتعددة من الطائف إلى صعدة، فيذكر كثرة قراها، وسطوة شيخ القبائل ونفوذهم فيها، ويدون صوراً أخرى من حياة سكان هذه البلاد الاجتماعية والاقتصادية، ويفكّر على وفرة الخيرات الزراعية في أوطانهم وعلى استقلالهم في حياتهم السياسية والإدارية^(٢). وفي هذه السروات، وفي بلاد جرش تحديداً يذكر بلدة ذهبان، وما زالت إحدى قرى محافظة خميس مشيط في العصر الحديث، فيقول: "هي أم القرى بلاد عز، ويقال إن دور أعمالها أربعون فرسخاً، وهي نجد اليمن، والأصلح أطراف أعمال نجد اليمن من شرقى تهامة"^(٣). وللحظ أن ياقوت الحموي (ت ١٤٦٦هـ / ١٢٨٨م)، يذكر بعض التفصيات عن جرش^(٤). مع أن ابن المجاور من أهل القرن (١٤٣هـ / ١٣٣م) لم يذكرها على الإطلاق، وأشار إلى ذهبان مع أنه لم يفصل الحديث عنها، وإنما قال "هي أم القرى بلاد عز"^(٥).

(١) للمزيد انظر، الحسين بن أحمد بن يعقوب . سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني (ص ٢٧ وما بعدها، مفرج الربيعي . سيرة الإمامين الحسينين الشريفين الفاضلين: القاسم ومحمد ابني حضرى بن الإمام القاسم ابن علي العياني (بيروت، ١٩٩٢هـ / ١٤١٢م)، ص ١٢ وما بعدها، سليمان بن يحيى الثقفي . سيرة الإمام المتوكلى على الله أحمدى بن سليمان (القاهرة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م)، ص ٤١ وما بعدها، فاضل بن عباس المعروف بأبي فراس بن دعثم . السيرة الشرفية المنصورية سيرة الإمام عبد الله بن حمزة (١١٩٦هـ / ٥٩٢م - ١١٩٦هـ / ٦١٤م). (بيروت، ١٩٩٢هـ / ١٤١٤م)، انظر صفحات متفرقة في الجزأين . انظر أيضاً، غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (الرياض، ٢٢ - ١٤٣٣هـ / ٢٠١٠م) ج ٢، ص ٣٣٠ وما بعدها . ج ٥، ص ٢٢٩ - ٣١٦ .

(٢) جمال الدين يوسف المعروف بـ (ابن المجاور) . صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (تاريخ المستنصر) (لدين، مطبعة بريل، ١٩٥١م)، ج ١، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٣) ابن المجاور، تاريخ المستنصر، ج ١، ص ٢٨ .

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٢٦ .

(٥) ابن المجاور، تاريخ المستنصر، ج ١، ص ٢٨ .

ولا نعتقد أن جرش انتهت تماماً في القرن (١٢هـ / ٧٧هـ)، ومن المحتمل أنه اندثر مركزها الرئيسي، وحل محلها ذهبان، فهذا ابن المجاور يصفها بأم القرى، ويبدو أن حولها قرى عديدة، وربما أحدها بلدة جرش . أما سكان جرش أو ذهبان فمن المؤكد أنهم استمروا يعيشون في بلادهم حتى وإن تبدلت مراكز القوى الإدارية والسياسية من جرش إلى ذهبان^(١).

ومنذ القرن (١٤هـ / ١٧م) إلى نهاية القرن (١١هـ / ١٧م) لا نجد معلومات تذكر عن ذهبان أو غيرها في بلاد السروات، وهذه الحقبة سادها الكثير من الغموض وعدم ذكر تاريخ وحضارة أرض وسكان السروات المتداة من الطائف إلى نجران^(٢)، وإن ذكرت بعض الشذرات القليلة في بعض المصادر عن هذه البلاد لكنها ما زالت ناقصة وغير واضحة^(٣). والسائج في هذه الأوطان الجنوبية السروية يشاهد آثار مستوطنات بشرية في بعض الجبال والأدبية والسهول، ويبدو على كثير منها أنها تعود إلى الوراء مئات السنين، وبعضاً ر بما تم تشييده واستيطانه في نهاية القرون الإسلامية الوسيطة وبدايات العصر الحديث^(٤). وبلدة الخميس من بلدان السراة التي ظهرت وتطورت على أنقاض مدينة جرش ثم مدينة ذهبان . ولا نملك مصدرأً محدوداً يوضح لنا متى قامت بلدة الخميس، لكنها ربما عُرفت، مكاناً للاستيطان منذ ازدهار بلدة ذهبان في القرن (١٢هـ / ١٢م)، عندما كانت عاصمة أو أمّاً للقرى كما وصفها ابن المجاور^(٥). وموقع بلدة الخميس استراتيجية لشراء أرضاً الزراعية، ووقوعها على بعض الأودية الرئيسية

(١) انظر ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٢٦، ابن المجاور، تاريخ المستنصر، ج ١، ص ٢٨ .

(٢) الذاهب الآيب في أرض السروات يلاحظ الكثير من القرى الحضارية التي يعود تاريخها إلى مئات السنين، ثم اندثرت وقام على مقربة منها قرى وبلدات أخرى، ثم اندثرت أيضاً وظهر في العصر الحديث والمعاصر قرى وأحياء وبلدات جديدة وغالباً تكون قريبة من المستوطنات القديمة والمندثرة .

(٣) نعم هناك بعض مصادر التراث الإسلامية، وبخاصة المصادر المحلية اليمنية والجازية وغيرها وأشارت إلى أجزاء من بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية الوسيطة، لكن بشكل طفيف وغير واضح .

(٤) أثناء جولاتي في البلاد المتداة من الطائف ومكة إلى جازان ونجران شاهدت الكثير من القرى ومواطن الاستيطان المندثرة والمهجورة، وبعضاً ما زال مسكوناً، وعندما وقفت على بعضها وسألت أهلها وأحياناً شاهدت بعض التواريف والكتابات على أبوابها وجدرانها وجدت تواريخها تعود إلى القرون المتداة من (٩١٤هـ - ٢٠١٥هـ) . ومثل هذه البلدات والقرى والأوطان تستحق أن تدرس دراسة تاريخية وأثرية، وهذا الأمر من اختصاص الأساتذة الأكاديميين والجامعات في جنوب البلاد السعودية .

(٥) ابن المجاور، تاريخ المستنصر، ج ١، ص ٢٨ .

مثل وادي عتود وغيره^(١)، ثم توسطها بين الأراضي والقبائل الشهراوية والعسيرة والقططانية^(٢).

ومنذ نهاية القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) نجد اسم الخميس يظهر في بعض الوثائق، فكان يطلق عليه سوق الخميس ابن حمدان نسبة إلى حمدان شيخ قبيلة شهران^(٣). قبل قدوم سالم بن حسين، جد أسرة آل مشيط، من موطنه الأصلي في الحمرة ببلاد قحطان^(٤). ومنذ القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) نجد أسرة آل مشيط، مماثلة في جدهم الأول، مشيط بن سالم، ثم أبنائه وأحفاده من بعده يضاعفون جهودهم لحماية سوق ومدينة الخميس، حتى صار السوق والمدينة لا تُعرف إلا باسم (مدينة الخميس مشيط) أو (سوق

(١) بلدة الخميس التي أصبحت المركز الرئيسي لبلاد شهران، فاقت أنها عاصمة عسير وغيرها من مدن الجنوب السعودي، وذلك لاتساع أرضاها، وازدحام سكانها، ونشاطها وقوتها الاقتصادية فهي تكريباً رابع مدينة في مجال التجارة والاقتصاد بعد مدن الرياض، وجدة والدمام . والواقفت على بلدة جرش، ثم بلدة ذهبان ثم الخميس يجد أن الأخيرة أفضلاها من حيث الموقع وربطها لعدد من الجهات الرئيسية في منطقة عسير وما حولها.

(٢) من يدرس التركيبة السكانية لمحافظة الخميس مشيط منذ ظهور الإسلام إلى وقتنا الحاضر، يجد أنها موطن عشرات الفخوذ والعشائر والقبائل العربية . فالمصادر الإسلامية المبكرة والوساطة تشير إلى أنه استوطنتها عشائر يمانية ومضرية وشامية، ويبعد أن القبائل اليمانية وبخاصة الأزدية كانت لها الغلبة عليها في بعض حقب التاريخ الإسلامي . وفي العصر الحديث والمعاصر نجد أن عشائر شهران الخصمية هي صاحبة السيادة على هذه البلاد، وهناك قبائل قحطانية مذحجية أو أزدية تشارك شهران في استيطان هذه البلاد . والسائل في أراضي هذه المحافظة اليوم يجد عناصر شتى تسكنها من القبائل العربية السعودية ومن أجناس أخرى من البلدان العربية وغير عربية . مع أن قبائل شهران مثل: ناهس، وكود، وأل الغمر، وبني بجاد، وأل رشيد وغيرهم أصحاب النفوذ والسيطرة على معظم بلاد محافظة الخميس مشيط . للمزيد عن عشائر وفخوذ قبيلة شهران، انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة) (الرياض : مطابع الخميسي، ١٤٢٢هـ / ٢٠١١م)، ج ٢، ص ٦٤ - ٦٦ .

(٣) يذكر أن مشيخة شهران قبل القرن (١٤٢١هـ / ١٨١م) كانت في أسرة آل حمدان، وكانت قبلهم في آل فاهدة من ناهس . ولا تملك مصادر موثوقة تفصل لنا الحديث عن مجد وتاريخ هاتين الأسرتين (آل فاهدة، آل حمدان) ، ونأمل أن نرى من أبنائهما وأحفادهما من يدرس تاريخ آبائهما وأجدادهم، أو يجمعون ما يمكن جمعه من وثائق وموروث تاريخي عن هاتين الأسرتين .

(٤) للمزيد عن أصول أسرة آل مشيط، وعن سالم بن حسين، انظر عبد العزيز بن سعيد بن مشيط، الشيخ سعيد بن عبد العزيز ابن مشيط، شيخ شمل قبائل شهران في ذاكرة التاريخ (الرياض: مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٨هـ) (الطبعة الأولى)، ص ٤٢ - ٤٣ . وانظر أيضاً غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج ٢، ص ٦٥ وما بعدها

خميس مشيط^(١). وفي الصفحات التالية نذكر شذرات من بعض المصادر والمراجع التي ذكرت مدينة أو سوق خميس مشيط منذ القرن (١٤٩٦هـ - ١٩٥١م) حتى وقتنا الحاضر.

ففي منتصف القرن (١٤١٢هـ / ١٩٣٣م) نجد الرحالة الفرنسي موريس تاميزيه^(٢)، يأتي مع حملة أرسلها محمد علي باشا عام (١٤٤٩هـ / ١٨٣٤م)، إلى بلاد عسير ثم بدون تصريحات كثيرة عن البلاد المتعددة من الطائف عبر بيشة ثم خميس مشيط إلى أبها^(٣)، وفي ثلاثة فصول من الكتاب وأرقامها (١٤، ١٢، ١٢) يذكر هذا الرحالة بعض المعالم الجغرافية التي شاهدها في محافظة خميس مشيط، وصوراً من التركيبة الاجتماعية والاقتصادية^(٤) وفي صفحات من هذه الفصول عنونها أصحابها بعناوين جانبية مثل: (الإقامة في خميس مشيط) أو (رحلة في خميس مشيط)، وذكر أن شيوخ وأعيان هذه البلاد كانوا موالين لأمراء عسير، علي بن مجتبى ثم عائض بن مرعى^(٥). كما تطرق لوفرة الخيرات الزراعية في بلاد شهاران، وفي محافظة الخميس تحديداً قال: "وحوض

(١) هذا الإنجاز الكبير، وهو أن مدينة من أكبر مدن المملكة العربية السعودية (خميس مشيط) وكذلك سوقها الأسبوعي (الخميس) بقي مرتبطاً باسم أسرة، هي أسرة (آل مشيط) ليس أمراً سهلاً . ومن المؤكد أن هناك أسباباً عديدة لهذا الترابط، لكن شيوخ وأعيان هذه الأسرة (آل مشيط) هم، في اعتقادى، الأساس، فقد بذلوا ومازالتوا يبذلون قصارى جهودهم في خدمة هذه المدينة وسوقها، ومن ثم استطاعوا الحفاظ على هذا الشرف الكبير. دراسة أسرة آل مشيط منذ القرن (١٤١٢هـ / ١٩٣٣م) حتى الآن وما بذلوه من جهود في زعامة قبائل شهاران، وخدمة المدينة والسوق الرئيسي في بلادهم، (مدينة وسوق خميس مشيط) من الموضوعات الجديدة التي تستحق أن يفردها كتاب أو رسالة علمية أكademie . وتأمل من قسم التاريخ، برنامج الدراسات العليا، في جامعة الملك خالد أن يوجه أحد طلابه لدراسة هذا العنوان في رسالة علمية لدرجة الماجستير أو الدكتوراه .

(٢) موريس تاميزيه، رحالة فرنسي، رافق حملة أحمد باشا العثماني علي عسير، دون يومياته بشكل مفصل عن تلك الحملة، وكان في الأساس مرافقاً للبعثة الطبية التي جاءت مع الحملة. انظر: موريس تاميزيه . رحلة في بلاد العرب : الحملة المصرية على عسير (١٤٤٩هـ / ١٨٣٤م). ترجمة محمد آل زلفة (الرياض: مطابع وإعلانات الشريف، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، ص ١٥ وما بعدها.

(٣) محمد علي باشا أرسل حملة عسكرية إلى عسير تحت قيادة أحمد باشا، وذلك من أجل السيطرة عليها والقضاء على حكامها الرئيسيين من أسرة آل عائض . لمزيد انتظ موريس تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ص ٥٧ وما بعدها، علي أحمد عسيري. عسير من (١٤٢٩هـ / ١٨٢٢م - ١٤٢٢هـ / ١٨٧٢م) (أبها : نادي أبها الأدبي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، ص ١٢٢ وما بعدها .

(٤) انظر موريس تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ص ٢٥٢ . ٢١٠ .

(٥) المصدر نفسه، وللمزيد عن الأمريين علي بن مجتبى، وعائض بن مرعى، انظر: علي أحمد عسيري، عسير، ص ١٥٦ وما بعدها .

خميس مشيط يبدو مخضراً لوجود أشجار النخيل، ونباتات القمح والذرة التي تنمو بشكل طويل جداً ...^(١) ويدرك بعض التفصيات عن جبال وأودية ووهاد بلاد شهاران المتدة من يعرى ووادي ابن هشيل إلى بلدة خميس مشيط، كما يذكر بعض أعيان أسرة آل مشيط مثل: مشيط بن سالم، وابنه علي بن مشيط، وكيف كانوا موالين لأمراء آل عائض في أبها^(٢)، ويدرك بعض صفات الشيخ مشيط بن سالم فيقول أنه "يتمنى بمكانة معتبرة عظيمة من قبل رجال الجبال، ويمكن أن يكون مستحيلاً أن تجد رجالاً يفوقه حسناً وحذاقة"^(٣)، ويدرك شيئاً من صفاته الخلقية^(٤).

وهناك أوربيان آخران يذكران معلومات عن خميس مشيط وبعض رجالها خلال النصف الأول من القرن (١٤هـ / ٢٠م). فالأول السير كيناهان كورنواليس^(٥)، يذكر شهاران ويقول: "إنها تغطي رقعة أكبر من البلاد وأكثر من أي قبيلة أخرى في عسير، وهي الأكبر عدداً"^(٦) ويشير إلى أنها تمتد من بيشه إلى أعلى صبياً . وبعد بعض عشائرها مثل: آل رشيد، وآل الفمر، وناهس، وكود، وبني واهب، وبني بجاد، وغيرهم^(٧). ويتحدث عن خميس مشيط فيقول: "إنها على بعد (١٢) ميلاً شرقى أبها، وتقع في وادٍ خصيبٍ مزدهم بالسكان، وهي أهم مركز تجاري في عسير . وتصلها معظم منتجات بيشه من التمور، كما تصلها القهوة من اليمن، والجلود والسمن

(١) موريس تاميزيه، *رحلة في بلاد العرب*، ص ٢٧٤ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٣ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١٤ . ويدرك تفصيات سمعها هذا الرحلة عن الشيخ مشيط في أيام علي بن مجشل العسيري فقال نقاً عن أحد الرواية "كان مشيط من أكثر الرجال ثقة لدى أمير عسير، علي بن مجشل، لقد رأيناه يذهب بطريقته الخاصة عندما عزم الأمير علي على تجهيز حملة ضد تهامة، شارك في تجهيز الحملة برجاله وشجاعته، ونصائحه للجيش عند احتلال (الحديدة ومخا) . ولكن الأمير علي احتراماً كبيراً للشيخ مشيط، وكان يثق به ثقة تامة" موريس تاميزيه، ص ٢١٤، ٢١٦ .

(٤) المصدر نفسه، ص ١٤ .

(٥) كورنواليس : أحد رجالات المخابرات لبريطانيا، أرسلته حكومته إلى الشرق الأوسط، وجاء إلى منطقة عسير لدراستها جغرافياً وتاريخياً، ودون عنها تقريراً، نشر فيما بعد في هيئة كتاب عنوانه: *عسير قبل الحرب العالمية الأولى*، ويقع في (١٥٥) صفحة باللغة الإنجليزية، ونشر في مدينة كمبردج في بريطانيا عام (١٩٧٦م) . وقد اعتمد على هذا الكتاب، أكثر من واحد، ممن يدعون العلم، وهم غير ذلك، فترجموه ترجمات ركيكة، ونسبوا أعمال غيرهم لهم، وهم أيضاً غير صادقين . (انظر النسخة الأصل باللغة الإنجليزية) .

(٦) انظر: Sir Kinahan Cornwallis. *Asir Before World War I* (Cambridge 1976) P.68.

(٧) المصدر نفسه. pp.69 ff.

والصمع والخيول من أقاليم أخرى قريبة . والسكان المقيمون قليلون مع قليل من المحلات التجارية، لكن هناك تدفق كبير جداً من الناس كل يوم خميس، وهو يوم السوق . والشيخ عبد العزيز بن مشيط هو الذي فقط يمتلك بيتاً من الحجر بينما الباقي بيوتهم من الطين^(١). ويدرك أن عشيرة آل رشيد هم الذين يسكنون بلدة خميس مشيط وما حولها، وهم أغنياء ويمتلكون الكثير من الأغنام والخيول والأراضي الزراعية، ويساندون الأتراك^(٢) .

ويذكر كورنواليس بلدة ذهبان، ويقول إنها على بعد ستة أميال جنوب شرق خميس مشيط، وهي قرية كبيرة، وفيها مقر وقلعة عبد العزيز بن مشيط الذي يعيش في رفاهية، وبينه دائماً مفتوح لكل من يزوره، ويشير إلى قرى أخرى قريبة من بلدة خميس مشيط مثل: الهرير، والصفق، والرونة، والدربر، وعتود، والصمدة، والوقة، ونعمان^(٣). ويدرك أسرة آل مشيط، فيقول: "إنها عائلة كبيرة، وزعيمها عبد العزيز ابن مشيط^(٤)، ويبلغ من العمر حوالي ستين عاماً، وترتبطه علاقات طيبة مع الأتراك، وهو صديق لشريف مكة، ويقوم بجباية الضرائب الخاصة به، كما أن ابنه سعيد بن عبد العزيز هو الذي يتولى إدارة معظم الشؤون القبلية . وقد استطاع الإدريسي أن يفصل بعض أقسام شهران عن بعضها، لكن نفوذ العائلة الحاكمة (آل مشيط) مازال قوياً، كما أن عبد العزيز بن مشيط ولده من أهم رؤساء القبائل في عسير^(٥) . وفي مكان آخر ذكر كورنواليس بعض أعلام شهران^(٦)، ومنهم عبد العزيز ابن مشيط الذي قال إنه

(١) المصدر نفسه، pp.69 . كلام كورنواليس ربما يكون غير دقيق وقوله إن بيت الحجر الوحيد في الخميس هو بيت عبد العزيز بن مشيط، وربما هناك بيوت آخرين من الحجر . مع العلم أن معظم بيوت خميس مشيط وماجاورها كانت من الطين . وما زلتنا نشاهد الكثير من هذه البيوت القديمة مائلاً للعيان .

(٢) كورنواليس، p69 . جاء هذا الأوري إلى عسير في الزمن الذي كانت منطقة عسير تحت نفوذ المتصرفية العثمانية (١٢٨٩ - ١٢٣٧هـ / ١٨٧٢ - ١٩١٨م) . انظر: غيثان بن جريس . صفحات من تاريخ عسير (الرياض: مطابع الحميضي، ٢٤ - ١٤٣٥هـ / ٢٠١٢ - ٢٠١٤م) (الطبعة الثالثة) ج ١، ٢٤ . ص، ٩١ - ١٢٠، ٢٢٥، ٢٧٤ . ويدرك كورنواليس أن مجتمع آل رشيد في خميس مشيط مزدهر، وحتى إن ساندوا الأتراك، لا يدفعون لهم الضرائب، ولا يلتحقون ويعملون بشرطتهم المحلية .

(٣) كورنواليس، p.69 .

(٤) للمزيد عن الشيخ عبد العزيز ابن مشيط، انظر: عبد العزيز بن سعيد بن مشيط . الشيخ سعيد بن عبد العزيز ابن مشيط، ص ٤٨ .

(٥) كورنواليس، pp.68-69 .

(٦) كورنواليس، pp. 84ff .

الرئيس الأعلى لقبيلة شهران، ويسكن في ذهبان، ويمتلك بيته في خميس مشيط وعنه بساتين كثيرة من أشجار النخيل في بيشة^(١).

أما المصدر الأوروبي الثاني فهو أستاذ أكاديمي بجامعة كمبردج، يدعى روبن بدول^(٢)، وله عدد من المؤلفات، وقد ترجم بعضها إلى اللغة العربية، وكتابه الموسوم بـ: **الشخصيات العربية في القرن العشرين**، باللغة الإنجليزية، ما عدا الفصلين الثاني والعشر فقد ترجمت ترجمة أولية إلى اللغة العربية، وما زالت مسودة، لم تنشر، ومعظم مادة هذين الفصلين عن تاريخ أجزاء من عسير وجازان مع الإشارة إلى بعض أعلام هذه النواحي^(٣).

ولاجد عند هذا الأستاذ شيء جديد عما ذكره كورنواليس، ويبدو أن جميع المعلومات التي دونها عن شهران وأعلامها وخميس مشيط وأسرة آل مشيط مقتبسة من تقرير وكتاب كيناهان كورنواليس عن عسير، وهذا شيء طبيعي فالأول رجل سياسة واستخبارات وهذه الحصول على المعلومات، والثاني فهو أستاذ جامعي، ويجب عليه أن يسلك المناهج العلمية التي درسها ويدرسها في أعداد البحوث والدراسات الأكademie^(٤).

وفي نهاية العقد الثالث من القرن (١٤٠ھـ / ٢٠٠م) نجد البركاتي يذكر في رحلته بعض الأمكنة في بلاد شهران^(٥)، ويشير إلى مواضع في غرب وشمال محافظة خميس مشيط مثل أودية الجنفور، وراشد، والمسيرق وما يتوفّر فيها من الثروات الحيوانية

(١) المصدر نفسه، p. 84.

(٢) للمزيد عن روبن بدول، انظر كتابه: **الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية**. ترجمة عبد الله آدم نصيف (الرياض، ١٤٠٩ھـ / ١٩٨٩م) (مقدمة المترجم، ص ٧ وما بعدها).

(٣) هذه النسخة المسودة المترجمة هي التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة. ويوجد نسخة منها في مكتبة الباحث، والدكتور إسماعيل بن محمد البشري هو الذي قام بترجمتها، ونرجو أن يعيد النظر فيها ثم يطبعها وينشرها.

(٤) للمزيد عما تم تدوينه عن شهران وخميس مشيط في مسودة روبن بدول، انظر، **الشخصيات العربية في القرن العشرين**، ص ٦٦، ٩٦ وما بعدها.

(٥) الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي (١٢٨٨-١٢٥٨ھـ / ١٩٣٩-١٨٧١م) عمل في حكومة الشريف حسين، ودون رحلته المعروفة بـ **(الرحلة اليمنية)** عندما رافق الشريف حسين أثناء خروجه من الحجاز إلى أبيها الفك حصار الإدريسي عنها عام (١٢٢٩ھـ / ١٩١١م)، وبعد زوال إمارة الأشراف في الحجاز انضم الشريف البركاتي إلى حكومة ابن سعود وعمل فيها. انظر: شرف بن عبد المحسن البركاتي، **الرحلة اليمنية**. تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن بن الياس (بيروت، د. ت)، ص ١٢٥ وما بعدها.

والنباتات والأشجار والمزروعات، ولم يغفل عن ذكر بعض العوامل الشهرانية وبعض أعيانها وشيوخها^(١).

ونجد الرحالة الإنجليزي هاري سانت جون فلبي يزور منطقة عسير وغيرها من مناطق الجنوب السعودي في منتصف القرن (١٤٢٠هـ / م) ويدون كتاباً كبيراً اسمه: ارتفاعات الجزيرة العربية Arabian HighLands^(٢). وفي أثناء رحلته من رنية إلى بيشة ثم خميس مشيط وأبها فصل الحديث عن حياة الناس الاجتماعية في هذه الأوطان، مع ذكر شروح جيدة عن جغرافية هذه البلاد. وفي فصل مستقل سماه (خميس مشيط) وفي حوالي (٢٢) صفحة ذكر معلومات قيمة عن منطقة خميس مشيط من خبير وتندهة حتى وسط بلدة الخميس وما يقع حولها من قرى ونواحي. وقد أقام في مدينة الخميس بعض الوقت وذهب إلى مدينة أبها وعاد إلى خميس مشيط وتجلو مع بعض أعيانها في ارجائها، وكتاب (ارتفاعات الجزيرة العربية) لفلبي فاق غيره من الكتب التي درست جغرافية خميس مشيط وشيئاً من تاريخها في بداية النصف الثاني من القرن (١٤٢٠هـ / م)، فذكر عدداً من قرى خميس مشيط، أسماءها، ومواعدها، ومميزات بعضها، كما أشار إلى جرش الأثرية، وما شاهده من معالم وآثار في أرضها، دون بعض التفصيات الجيدة عن علمين بارزين من أعلام خميس مشيط وهما: الشيخان سعيد بن مشيط، وعبد الوهاب أبو ملحمة، فزارهما في قصورهما وتضييف عندهما، وأورد بعض الشروح عن هيئة قصورهما وما يحيط بها من مزارع وقرى، وفصل الحديث عن بعض الولائم والأطعمة التي يقدمونها للضيوف في منازلهم. كما زار سوق خميس مشيط، وشاهد

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٦ - ١٢٨. لم يذكر البركاتي تفصيلات كثيرة عن مدينة خميس مشيط وأعيانها ووجهائها، لأنه لم يدخلها، وإنما خرج من أبها نحوبني مالك عسير ثم واصل سيره مع حملة الشريف من غرب وشمال محافظة خميس مشيط حتى وصل بيشة. المصدر نفسه، ص ١٣٧ وما بعدها.

(٢) هذا الكتاب أحد كتب فلبي التي يصل عددها إلى أربعين كتاباً دراسة وربما زادت عن هذا العدد، وبعد كتابه هذا من أكبر وأهم كتبه إذ يقع في أكثر من (١٧٠٠) صفحة في مجلدين كبيرين، فهو يتحدث عن مناطق الجنوب التي سادها كثير من الإهمال والنسيان عند المؤرخين ومدوني تراث وحضارة الجزيرة العربية. صدر هذا الكتاب باللغة الإنجليزية، وترجمته مكتبة العبيكان، وقامت بمراجعة النسخة العربية وكتابه تقديم لها، ثم نشرته العبيكان عام (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م). للمزيد عن فلبي وأعماله العلمية انظر، غيثان بن جريس. دراسات في تاريخ وحضارة حنوبى البلاد السعودية (الرياض: مطابع الحميضي، ٤٢٠١٢هـ / م) (جزءان في مجلد واحد)، ج ٢، ص ٢٨٢ - ٤٣٤.

نشاطه التجاري وكيف كان الشيخ سعيد بن مشيط يتولى الحماية والإشراف على هذا السوق^(١). وأضاف فلبي شروحا قيمة عن الطرق التي تربط بين قرى خميس مشيط، وبعض المحاصيل والمزروعات في هذه الأجزاء، وبعض السلع والأسعار التي شاهدتها في سوق خميس مشيط^(٢). ويدرك خلاصة لحافظة خميس مشيط كما رأها فيقول: "ت تكون منطقة خميس مشيط من (٢٠) قرية وعدد من القرى الصغيرة^(٣)، وتشتهر الخلاصة بأنها موقع قديم لكنني لم أقم بزيارتها، كما علمت عن عدد من القرى أسفل أبوسليك، وهي أكثر القرى انخفاضا، وقرى صغيرة فوق وادي بيشهة منتشرة فوق مسافة من خمسة أميال إلى (٢٥) ميلاً أسفل العرق، وهي والجنفور، ويسكنها بنو منهه من بنى مالك من عسير، والمعامل لبني بجاد من شهران ..."^(٤).

ومن معاصري فلبي فؤاد حمزة الذي جاء إلى بلاد شهران، وأقام في خميس مشيط بعض الوقت، وسلك الطريق التي سلكها فلبي من بيشهة، فمر على خير الجنوب وتنحى عدد بعض قراها وذكر شيئاً عن سكانها. ثم جاء إلى خميس مشيط فأشار إلى حسن موقعها، ووقعها على وادي بيشهة ابن مشيط الذي يأتي من أعلى الجبال في بلاد رفيدة قحطان، ثم عدد بعض القرى الواقعة على هذا الوادي، وعندما ذكر خميس مشيط أشار إلى أهم قراها، وأضاف أسماء بعض القرى الواقعة في بلاد ابن هشبل^(٥). وشرح طبيعة بلدة خميس مشيط الجغرافية وما شاهده فيها من جبال ووهاد وقرى، وذكر صوراً من

(١) انظر فلبي، مometownات الجزيرة العربية. ترجمة حسن مصطفى حسن، تقديم ومراجعة وتعليق غيثان ابن علي بن جريس (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج ١، ص ٢٥٢ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٦٣.

(٣) يذكر فلبي أن منطقة خميس مشيط تكون من (٢٠) قرية. وقد عدد بعضها أحد أبناء محافظه خميس مشيط، وهو إبراهيم بن محمد بن فائع الألبي، فذكر أن من أهم القرى القديمة في منطقة خميس مشيط هي: (١) مسيحل. (٢) الرونة. (٣) نعمان. (٤) الهيرير. (٥) الوقفة. (٦) ذهبان. (٧) الصفق. (٨) المثانة. (٩) آل قصال. (١٠) الدرب. (١١) عرق آل أبوملحة. (١٢) عرق برقان. (١٣) آل عزيز. (١٤) قتبر. (١٥) الصمدة، (١٦) شباعة. (١٧) آل هميلة. (١٨) الغرابة. (١٩) طيب الاسم. (٢٠) مصلوم. (٢١) أبوسليك. (٢٢) الجمفور. (٢٣) العطف. (٢٤) الخلاصة. (٢٥) عتود. (٢٦) آل الزعاك. (٢٧) إيتارة أو تارة. (٢٨) المزاب. (٢٩) العمارة. انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج ٢، ص ٤٥.

(٤) فلبي، مometownات الجزيرة العربية، ج ١، ص ٢٥٥.

(٥) للمزيد انظر: فؤاد حمزة. في بلاد عسير، الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ص ٦٥ وما بعدها. ومن القرى التي ذكرها في وادي بن هشبل، المعامل، الرشدة، آل أبوثور، الشهمة، آل بطاط، الشقر، شفان، بطن بنى ثلبة. المصدر نفسه، ص ٨٠.

حياة سكانها الاجتماعية والاقتصادية، وفصل الحديث عن منازلها ونوع العمارة فيها، وتجول في سوقها الأسبوعي وذكر شيئاً مما رأه فقال: " شهدت يوم السوق في هذه القرية، وهو يوم الخميس، فوجدت أن أكثر القرى المجاورة يستعدون له أسبوعياً، ويحضرون إليه ببضاعتهم من جميع الجهات، من بلاد قحطان، وربوعة ورفيدة، ومن بلاد عسير. كما أن الشهارنة يحضرونه بانتظام، وينعقد السوق اعتباراً من صحي يوم الخميس في برحة متسعة واقعة بين القرية ومركز المخيم^(١). وليس هناك مخازن أو مبانٍ لوضع البضائع وعرضها فيها، بل إن الأمر لا يتطلب أكثر من أعداد تفرز على أبعاد متناسبة وتقطعى بقطعة من الخيش في خطوط متوازية أو متقابلة، يجلس أصحابها في ظلالها، فيبسطون بضائعهم أمامهم ويعرضونها على المارة، والذي لا يتمكن من نصب خيمة كهذه يكتفي برقة من الأرض في العراء يبسط فيها سلعه. وهناك موضعان داخلان في السوق برغم بعدهما عنه : أحدهما لبيع الحطب والخشيش من برسيم وقصب وخلافهما، والآخر لبيع السائمة والماشية . نعم إن في الخميس بعض المخازن الدائمة للبيع والشراء اليومي، إلا أن الأهمية العظمى للسوق الأسبوعي، نظراً لكثرة العارضين والمشترين فيه، وقد تجولت في السوق الأسبوعي، كما تجولت في الأسواق الدائمة وسط القرية، فوجدت أن الأهمية للأول منها، وقد شاهدت جميع السلع التي تلزم لأهل القرى والبادية من مأكل، أو مشرب، أو ملبس، أو أدوات منزلية، فلاحظت أن حاجات الطعام والملبس أكثر من غيرها"^(٢).

وبعد فؤاد حمزة يأتي إلى أرض شهاران محمد عمر رفيع، ليعمل معلماً في تعليم عسير^(٣). ويدون رحلته من مكة والطائف إلى بيشة ثم خميس مشيط وغيرها من مناطق جنوبى البلاد السعودية^(٤). ويشير إلى بلاد خيبر وتندحة وبعض قراها، ثم يصل خميس مشيط ويحل ورفاقه

(١) يقصد بمركز المخيم : أي مقر للجيوش والعساكر أثناء الحروب بين السعودية واليمن في منتصف القرن (١٤٠٢هـ / ٢٠٢٠م). وهناك بعض الدراسات وكثير من الوثائق التاريخية التي فصلت الحديث عن تلك الحروب. حينما نرىباحثاً جاداً فيدرس موضوع دور أهل منطقة عسير وقبائلها في تلك الحروب.

(٢) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ٧٦ - ٧٧.

(٣) للمزيد عن محمد عمر رفيع، انظر كتابه: ربوع عسير، (ذكريات وتاريخ) (الطائف: مكتبة المعارف، ١٢٧٣هـ / ١٩٥٤م) ص ٢ وما بعدها . انظر أيضاً غيثان بن جريس . تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٤٦ - ١٣٨٦هـ / ١٩٢٤ - ١٩٦٦م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)، ج ١، ص ٢٥٤ - ٢٥٦.

(٤) انظر، كتاب محمد عمر رفيع، ربوع عسير، ص ٧ وما بعدها .

ضيوفاً على الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة، ويشير إلى لمحات مختصرة عن بلدة الخميس وسوقها فيقول: "معظم مباني قرية الخميس، أو الخميس، وتسمى الدرك أيضاً من اللبن، تتكون من طبقتين أو ثلاث أحياناً، تشبه مباني أبها، إلا أنها خالية من شيء يسمى الرقف الذي يوجد في كثير من مباني أبها. وتسمى بال الخميس لقيام السوق فيها كل يوم الخميس، وهي تنسب إلى قبائل شهراً، فيقال: الخميس شهران، وتارة إلى أميرها ابن مشيط، فيقال الخميس مشيط. والقرية سوق واسعة لتصريف التمور والغلال التي تنتجهما أكثر الوديان المجاورة، وهي قائمة على طرف وادي شهراً في فسيح من الأرض"^(١).

وفي النصف الثاني من القرن (١٤٢٠هـ / ٢٠١٤م) نجد ثلاثة أوربيين يصلون إلى عسير، وينزلون في أبها ويمرون على مقربة من الخميس مشيط، وهم: فيليب ليبنز^(٢). وتويتشل^(٣). وولفرد شيسجر^(٤). وليبنز لا يذكر شيئاً ذا أهمية عن محافظة الخميس مشيط وإنما وأشار إلى أجزاء من أطرافها مثل: خيبر، ووادي ابن هشبل، وقال عن الخميس مشيط أنها مركز تجاري مهم^(٥). وتويتشل لم يذكر شيئاً عن الخميس مشيط واقتصر حديثه على مدينة أبها، موقعها، ومناخها، وبعض تضاريسها، وهيئة منازلها وقرها^(٦). وولفرد شيسجر يتوجه في أجزاء عديدة من بلاد تهامة والسراة، ويصل إلى أبها ثم يذهب إلى ظهران الجنوب مروراً ببعض بلدان عسير وشهران وقططان، ويدون معلومات قيمة عن حياة السكان الاقتصادية والاجتماعية في مدينة أبها وما حولها، لكنه لم يذكر شيئاً عن الخميس مشيط لأنه لم يدخلها ويتوجه في ربوعها^(٧).

(١) المصدر نفسه . ومدينة الخميس مشيط، وسوق شهراً أو سوق الخميس مشيط تحتاج إلى دراسات علمية أكademie ونأمل أن نرى بعض طلابنا في برنامج الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد فيتدخلاً من هذين الموضوعين ميدانياً لبعوثهم ودراساتهم العليا .

(٢) عنوان كتابه: *رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية*. ترجمة محمد محمد الحناش (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) ص ٢٧٥ .

(٣) لك. س. تويتشل . *المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية*. ترجمة شكيب الأموي (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٥م) ص ٢١٥ .

(٤) ولفرد شيسجر "رحلة في تهامة وعسير وجبال الحجاز" *محلية الدارة* (الرياض، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) عدد (١) سنة (١٤)، ص ١٢٢٩٢ . وللمزيد عن الرحالة الثلاثة ليبنز، وتويتشل، وشيسجر، انظر، غيثان بن جريس *القول المكتوب في تاريخ الجنوب*، ج ٢، ص ٣٦٢-٣٥٢ .

(٥) انظر، فيليب ليبنز، ص ٥٨، ٥٥ .

(٦) تويتشل، *المملكة العربية السعودية*، ص ٧٦-٧٧ .

(٧) ولفرد شيسجر، *رحلة في تهامة وعسير*، ص ١٠٤ وما بعدها . وللمزيد انظر: غيثان بن جريس، *القول المكتوب في تاريخ الجنوب*، ج ٢، ص ٣٦٩-٣٦٥ .

وهناك بعض الرحالة والمؤرخين المتأخرین الذين ذکروا بلاد شهران، وقبائلها، وسوقها، وتولی أسرة آل مشیط المشیخة الرئیسیة فیها^(١). ويذور عاتق البلادي خمیس مشیط فی بدایة هذا القرن (١٥٢٠ھ / ١٩٧٥م) ويقول عنھا "کانت تسمی خمیس ابن مشیط، ثم أطلق علیها خمیس مشیط، ولا تکاد تعرف الیوم إلا باسم (الخمیس)"، وكان سبب التسمیة : أنها کانت سوقاً فی بلاد شهران تقام كل يوم خمیس ... وهذا السوق کان أهله آل مشیط شیوخ شهران، ولذا نسب إلیهم^(٢). ويدکر هذا الرحالة أنه بعد اتخاذ مدینة خمیس مشیط قاعدة عسکریة منذ العقد التاسع فی القرن (١٤٢٠ھ / ١٩٨١م)، فقد تطورت بشکل سریع وتوسعت فی كل اتجاه حتى أصبحت من المدن الرئیسیة فی المملكة العربية السعودية^(٣).

وفي العقد الأول من القرن (١٥٢٠ھ / ١٩٧٥م) نجد باحثین یزروان خمیس مشیط ویدونان مشاهداتهما عنھا، فالأول : یذكر عنوان جانبي فی كتابه^(٤)، سماه (خمیس مشیط)، ويقول إنھا تقع فی سهل منبسط وتقوم على الجانب الغربی من وادی خمیس مشیط، وتعتبر نقطة اتصال بین أبها والمناطق المجاورة، فمنھا يتفرع کثیر من الخطوط البریة إلی كل من ظهران الجنوب وسراة عبیدة ونجران . وعدد بعض قراها، وذكر أن بها بعض المدارس الحكومية، ثم یشير إلی بعض المراكز التابعة لها مثل: بلاد تندحة وخیبر الجنوب^(٥).

(١) من أولئک المؤرخین والرحالة، محمود شاکر . عسیر (بيروت : المکتب الإسلامی ، ١٤٠١ھ / ١٩٨١م ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، یحيى إبراهیم الأنطیع . رحلات فی عسیر (نصوص ، وانطباعات ، ووصف ، ومشاهدات) (معلومات النشر بدون) ، ج ١ ، ١٧٩ .)

(٢) عاتق بن غیث البلادي . ین مکة وحضرموت (رحلات ومشاهدات) (مکة المكرمة : دار مکة للنشر والتوزیع ، ١٤٠٢ھ / ١٩٨٢م) ، ص ٥٢ .

(٣) کلام هذا الرحالة حقيقة، فال الخمیس حتى العقد الثامن من القرن (١٤٢٠ھ / ١٩٧٥م) كانت بلدة متواضعة فی مساحتها وعدد سكانها وقرابها وطرقها . وبعد إنشاء المدینة العسکریة فیها ثم بدایة الخطة الخمسیة الأولى في المملكة بدأتم الدینة تنمو وتتطور فی كل الجهات والقطعاوات . والائزير الیوم لمدینة خمیس مشیط یجدھا مکنطة بالسكان والأسواق الصناعیة والتجاریة، ناهيك عن میادین العمارة والتسيید والطرقات .

(٤) جولة فی ریوع المملكة، لسفر بن مرزح الغامدي (معلومات النشر بدون) ، ص ٥٦ . ٦١ .

(٥) المرجع نفسه . وقال عن أرض شهران "إنھا منطقة شهران الممتدة من الشعف إلى السعف، إنھا المنطقة التي جيابها الله بخصوصیة الأرض، ووفرة الماء، وتنوع الزراعات، وكثرة الأودیة" ثم أنسد فیها قائلًا :

بحیطها من جبال الداراللوان
انظر إلى الأرض خضراء مشكلة
في أرض شهران في خيبر وذهبان
والله يرعى جمالاً هو خالقه
المرجع نفسه، ص ٦١ .

أما الثاني، فهو أستاذ أكاديمي في علم الجغرافيا، زار منطقة عسير وغيرها من مناطق جنوبى البلاد السعودية، وكتب عن مناخها، وتضاريسها، وسكانها، ومواردها الطبيعية، وبعض الشيء عن ثرواتها الحيوانية والنباتية^(١). وفي جزء من كتابه يذكر عنوان سماه : منطقه أبها وخميس مشيط^(٢)، وتحدث عن هاتين المدينتين بشيء من الإسهاب^(٣)، وقال عن خميس مشيط في منطقة عسير " إن أهم تجمع بشري في هذه المنطقة هو مدينة خميس مشيط، وقد تطورت من قرية صغيرة قديمة، كانت قاعدة على الجانب الغربي لوادي بيشه على بعد (٤٠) كم عن عاليته في بلاد رفيدة. ولذلك تمنت القرية بموقع متوسط في قطاع من عالية الوادي، فنشأت بعد أن يصب فيه عدد وافر من الروافد المنحدرة إليه من مناطق السروات^(٤) . ويتحدث عن موقعها الاستراتيجي في منطقة عسير، وعن سوقها الأسبوعي الذي يعد من أكبر أسواق المنطقة الجنوبية، فيقول^(٥) "كون خميس مشيط تقع على حافة السراة ومنفذًا وباباً لها، وليست بعيدة عن حدود اليمن، وعند ملتقى طريق هضبة عسير في الشرق وفي متسع من الأرض لا تحجبها الجبال، اتخذت منذ تأسيس المملكة وفتح عسير مقراً للمعسكرات الحربية، وقد أنشئت فيما بعد على الحدود بينها وبين رفيدة المدينة العسكرية، وفي الخمسينيات من هذا القرن (١٤٢٠هـ / ١٩٨٤م) أنشئ مطار أبها إلى الجنوب من خميس مشيط، فأصبحت البلدة البوابة الرئيسية للسراة فعلاً، وفي أوائل السبعينيات وصلها طريق الجنوب المسفلت (طريق الطائف - أبها خميس مشيط - نجران) فأصبحت بوابة القسم الجنوبي من البلاد، ثم أنشئ مطار أبها الحديث فيما بين مدینتي أبها وخميس مشيط، واتسعت المدينة ونمّت في وقت مبكر بالنسبة للإقليم الجنوبي فاحتلت المرتبة الأولى في الإقليم في المساحة وعدد السكان، وسبقت أبها في هذا المجال..."^(٦) .

(١) انظر : عبد الرحمن صادق الشريف. جغرافية المملكة العربية السعودية (الجزء الثاني) إقليم حنوب غرب المملكة (الرياض: دار المريخ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، ج، ٢، ص ٢٨٦ وما بعدها.

(٢) المرجع نفسه، ج، ٢، ص ٣٠٣.

(٣) المرجع نفسه، ج، ٢، ص ٣٠٣.

(٤) المرجع نفسه، ج، ٢، ص ٣١٢ - ٣١٤.

(٥) المرجع نفسه، ج، ٢، ص ٣١٤.

(٦) المرجع نفسه، ج، ٢، ص ٣١٤ . مدينة خميس مشيط ذات تاريخ عريق فهي حزء من مخلاف حرش المذكور في مصادر التاريخ البكر، ثم تطورت خلال العصر الحديث، لكنها لم تخدم بحثنا ونأمل من المؤرخين والباحثين أن يدرسوا تاريختها وحضارتها غير أطوار التاريخ . أما تطورها الحديث والمعاصر فهو موضوع كبير يستحق أيضاً أن يدرس في عدد من الكتب والدراسات العلمية الأكademie .

وفي العقدين الثاني والثالث من القرن (١٥هـ / ٢٠م) يكتب عن خميس مشيط رائدان من رواد التربية والتعليم في منطقة عسير إنهم : محمد أحمد أنور ، وإبراهيم ابن محمد بن فائز الألبي^(١) . فالأستاذ محمد أحمد أنور من مواليد أبها، ومن المعلمين الأوائل الذين أسهموا في حركة التربية والتعليم في أبها والنماص وخميس مشيط وتولى إدارة مدرسة خميس مشيط في بداية السبعينيات من القرن (١٤٢٠هـ / ٢٠م)، ومكث فيها حوالي (١٣) سنة، فعرف أهلها وحالتهم، وعدد في إحدى رسائله بعض أعيان المدينة، وطلابه في مدرستها^(٢) ، ثم ذكر تفصيلات جيدة عن مدينة خميس مشيط، يصعب أن نجد لها في أي مصدر آخر فقال: "للخميس عندي ذكري جميلة ولذينة وكثيرة غير مملة، أحب أهلها ويحبونني، وأقدرهم ويفقدونني، لم أختلف مع أحد منهم، عرفت الخميس وأنا في سن السابعة والعشرين، وأنا متزوج ولدي أطفال^(٣) ... وكانت أرى كل من يجول على أرض الخميس إخوانه وأبنائي وأهلي وعشيرتي، هكذا كنت أعيش وكانت موضع العطف والتقدير من عظيمي الخميس بل المنطقة كلها، الأمير سعيد بن عبد العزيز آل مشيط، والشيخ عبد الوهاب بن محمد أبو ملحمة، وكان لا يسقط لي طلب ولا ترد لي رغبة عند أيهما ... وكان نور البلاد وهببتها وقدوتها المتيبة، والمراجع الأولى والأخير فيما يلم بها أو يحدث فيها، وكل ملتمها هي النافذة والمسموعة بكل قناعة"^(٤) .

ومن ذكريات أنور في هذه المدينة قوله: " ومن طريف الذكريات التمتع برؤية تلك المزارع الخضر التي لا يكاد النظر يقطعها، ولا يمل رؤيتها، بل تسر النفس

(١) هذان العلمان عرفتهما ونشرت شيئاً من علومهما وأقوالهما . فالأول (محمد أنسور) لم أقابل له لكنني راسلته وهافتته كثيراً، وزودني بالعديد من المدونات التي تعكس صوراً من تاريخ وحضارة أجزاء من جنوبى البلاد السعودية . وقد طبعت ونشرت معظم ما وصلني منه . أما الآخر (إبراهيم محمد فائع) فقابلته كثيراً ورزته في منزله عشرات المرات، بمدينة خميس مشيط، وتناقشت معه في كثير من القضايا العلمية والتاريخية، وزودني بالكثير من المعلومات التاريخية والحضارية عن موضوعات عديدة في منطقة عسير، وقد طبعت ونشرت كثيراً مما وصلني منه . للمزيد انظر كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزءان الأول والثاني) وكتاب: من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية (محمد أحمد أنسور) (حوالى ستمائة صفحة) .

(٢) انظر : غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير أنموذحاً) (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م) ، ج ١، ص ٣٦ - ٤١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٢ .
 (٤) المرجع نفسه، ص ٤٢ - ٤٣ .

وتشرح الصدر وتجلو البصر، خطين مزدوجين يكتنفان الوادي العظيم وادي بيشة، ومثله وادي عتود الذي كان يجاوره على بعد ثلاثة كيلومترات أو أربعة، والتي كان يمر الوادي من بين الخطين المزدوجين في توثب عجيب وانطلاق عنيد، وحين تمطر النواحي التي تأتي منها السيل كسراة عبيدة وشفع بني بشر تسمع المنبه ليلاً أو نهاراً يحذر من التعرض للسيل، وينذر الناس بصوت فيه تهويل وشفقة، السيل كفو أنفسكم ومواشيكم من الوادي، ثم تنطلق أصوات البنادق من قصور الأمير سعيد بن مشيط إذا انقطعت الحرورة يعني فاضت ورويت منها بلاد الأمير سعيد^(١) ... ثم لا يمر طويلاً وقت حتى تأخذ الأرض زينتها وزخرفها وتتزين بمزارع الذرة والشعير والبرسيم، منظر لا يمل، يبهج النفس، ويشرح الصدر، ويولد السرور، وما أذن وأشجى صوت السوانى بالليل والنهار، كأذن موسيقى تسمعها أذناك، وسماع صوت سائق السوانى وأغانيه الشجية الساذجة البريئة وهو يشدوا بأعلى صوته من غير موارة ولا احتشام.

الله يضرب من ضرب صافي اللون
هلت دموعه قبل يشكى عليه
يا كم خلق ربي من الزين والشين
 وكل زاد له هل يأكلونه^(٢)

ويواصل هذا الاستاذ المربى حديثه قائلاً : "ولله تلك الأيام ما أصفها بما فيها من قناعة ورضا بالوجود، وإن قل وخلا من التزويق، نفسل الثوب ولا نكويه، نبتذله أشهرأ ولا نبدلها، نطوف بالزارع ونتحدث مع أهلها^(٣)، ونتمتع بالهدوء الذي لا يعكره أصوات السيارات والمفرقعات حتى الطيور تسرح وتمرح وتأخذ كل حريتها، والناس في شغل شاغل عنها لا نباله ولا ساكتون ولا من يهشها أو يقدر صفوها^(٤)، أما الآن فلا خضرة ولا مزارع، لقد اختفت تلك المناظر المبهجة والأشكال المفرحة تحت شامخات المباني التي أوجدها التوسع والحضارة، وأشكال الحياة التي لم تعد تتواضع وتتلاءم مع الوضع الحاضر مع وضع الناس الذين ألفوا وجود الأشياء بكثرة،

(١) المرجع نفسه، ص ٤٢ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٢ .

(٣) لقد شاهدنا هذه الحياة في نواح عديدة من أرض تهامة والسراء حتى نهاية القرن (١٤هـ / ٢٠م).

ونقول إن دراسة تاريخ الناس بشكل مفصل في هذه البلاد خلال القرن الهجري الماضي وما سبقه

يستحق أن يصدر عن ذلك عشرات البحوث والدراسات .

(٤) غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج ١، ص ٤٤ .

وتتوفر ما تتمناه النفس من مأكل ومشروب وملبوس ...^(١).

ويذكر هذه الرواية كيف رأى سوق الخميس في ستينيات القرن (١٤٢٠هـ / ٢٠٠٤م)، فيقول^(٢): "أما سوق الخميس، أو الخميس شهراً، فهو سوق كبير ونشيط الحركة التجارية، يطلق عليه لقب موجان لكثرة الصخب والحركة فيه، وبخاصة يومي الأربعاء والخميس، ولأن الناس تموج فيه كموج البحر، ويوجد فيه جميع متطلبات الناس ما لا يوجد في غيره من الأسواق المجاورة في ذلك الوقت من لوازم ضرورية ومستلزمات حياتية. ومن الأنواع التي تجلب إليه الأغذية الجيدة، والأبقار، والإبل، ونوع التمور الجيدة، والبلح الذي يرد من بيشة. ومن الوديان الثانية خمير والخضراء^(٣) ... والبن اليمني، والزبيب والسمن الجيد وغيره، والأسواق المجاورة له مثل: أبها، والشعبين، ومحائل، والأحد، وخميس عبيدة، وبلادر فريدة، واثنين الشعف كلها تسوقها ولا تستغني عنه لا بيعاً ولا شراءً كل أسبوع، تذهب لتصريف بضائعها أو جلب بضائع أخرى، والتمور ترد إلى الخميس من بيشة النخل"^(٤). ويشير إلى بعض التفصيلات عن المدينة وأبن مشيط وإشرافه على سوق الخميس، فيقول "... كانت البلدة هادئة، وجميلة بهدوئها، وسكانها معروفيين ويعدون على الأصانع^(٥) ويهرك حين تشاهد صباح يوم الخميس كوكبة من الخيول والجياد في موكب الأمير سعيد بن عبد العزيز آل مشيط واردة سوق الخميس، تحمل الأمير وبعض أبنائه ومواليه من قصوره إلى سوق الخميس كل صباح الخميس^(٦) ... وقبل غروب الشمس، وبعد أن يتم حل مشاكل الناس وخلافاتهم في السوق، يعود انطلاق الركب والموكب مرة أخرى إلى قصور الأمير بمدينة ذهبان، وهي ليست مدينة بل قصور الأمير وأسرته^(٧)".

(١) المرجع نفسه، ص ٤٤ . هذه الأحوال الاجتماعية التي يذكرها هذا الأستاذ الرائد كانت سائدة في عموم بلاد تهامة والسراة، بل في أنحاء البلاد السعودية. ومنذ بداية هذا القرن تلاشت أو اختفت كثيراً من الصور الاجتماعية التي عرفها ومارسها الأوائل . ونقول إن إيجاد دراسة مقارنة بين حياة الناس في الماضي والحاضر من الموضوعات الجديدة التي تستحق أن يفرد لها دراسة مفصلة .

(٢) غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج ١، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٣) المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٦ .

(٤) المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٦ .

(٥) وقد عدد أسماء بعض الأسر والأعلام في بلدة الخميس مشيط، لأنه عاشرهم، وأشرف على تعليم أبنائهم . انظر: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج ١، ص ٢٧ وما بعدها .

(٦) المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٥ .

(٧) المرجع نفسه، ج ١، ص ٤٥ . ونقول إن مدينة الخميس مشيط، بلدة، أو مدينة ذهبان تحتاج إلى دراسة تاريخية مقارنة غير أطوار التاريخ الإسلامي . نأمل أن نرى باحثاً جاداً فيتخذها عنواناً لكتاب أو رسالة علمية .

أما الأستاذ إبراهيم بن محمد بن فائق الألunci فيكتب لنا ثمان رسائل وأربع مدونات في أكثر من مائتي صفحة يذكر فيها الكثير من التفصيات عن أرض شهاران وبخاصة خميس مشيط، وعن مناخها وتضاريسها وقبائلها وقرابها، ودون أيضاً معلومات قيمة عن أعلام وأسر مدينة خميس مشيط وما جاورها، وبعض صورها التاريخية الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية الثقافية خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ / ٢٠م)، والعقود الأولى من القرن (١٥هـ / ٢٠م) ^(١).

٢- خميس مشيط كما رأيتها وشاهتها :

المقصود بخميس مشيط في هذه الصفحات، هي: محافظة خميس مشيط الحالية التي يحدها من الشمال محافظة بيشة وأجزاء من محافظة تثليث وتنومة، ومن الجنوب محافظة أحد رفيدة وجزء من محافظة سراة عبيدة، ومن الشرق محافظة طريب وأجزاء من محافظة تثليث وسراة عبيدة ومن الغرب أجزاء من مدينة أبها وبлад بلحر وبللسمر وجزء يسير من محافظة تنومة ^(٢). ومحافظة خميس مشيط يطلق على مجموعة من القرى التي تقع على ضفاف وادي بيشة وععود . ومن هذه القرى القديم ^(٣). ومنها الجديد الذي ظهر في هيئة أحياء جديدة وبخاصة في حاضرة خميس مشيط ^(٤).

(١) للمزيد انظر: غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة) (الجزء الثاني)، ص ١٩ وما بعدها. ونقول إن ما وصلنا من مدونات الأستاذين محمد أنور وإبراهيم فائق عن مدينة خميس مشيط أو حتى عن منطقة عسير يعد علماً جيداً في بابه . ونأمل أن نرى من طلابنا من يدرس ويحلل رسائلهما ومدوناتهما المنشورة في كتاب القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزءان الأول والثاني) .

(٢) المصدر: مشاهدات الباحث، انظر أيضاً الخارطة المنشورة في قسم الملاحق من هذا الكتاب. (ابن جريس).

(٣) يذكر قلبي عن منطقة خميس مشيط في منتصف القرن (١٤هـ / ٢٠م)، إنها تتكون من (٢٠) قرية كبيرة وعدد من القرى الأخرى الصغيرة . وأسماء كثيرة من القرى التي أشار إليها قلبي مازال معروفاً حتى اليوم مثل: العمارة، وقبر، والدرب، وذهبان، والعرق، ونعمان، وععود، والمعزاب وغيرها . للمزيد انظر: قلبي، مرتقبات الجزيرة العربية، ج ١، ص ٢٥٥. غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج ٢، ص ٤٥ .

(٤) من هذه الأحياء الجديدة التي انشئت منذ تسعينيات القرن (١٤هـ / ٢٠م) ما يلي: (١) النسيم . (٢)

الصقور. (٢) البوادي . (٤) التخييل . (٥) الشرفية العليا . (٦) الشرفية السفلية . (٧) العزيزية .

(٨) أم سرار . (٩) الدوحة . (١٠) النهضة . (١١) الفتح . (١٢) شكر . (١٣) الزهور . (١٤) العرق

الجنوبي . (١٥) الدرب الشرقي . (١٦) العرق الشمالي . (١٧) الخزان . (١٨) المنتزه . (١٩) السلام .

(٢٠) الجزيرة . (٢١) المعمورة . (٢٢) السد . (٢٣) الإسكان . (٢٤) النضير . (٢٥) المنارة . (٢٦)

الريبع . (٢٧) الخالدية . (٢٨) الواحة . وما زلتنا نرى توسيعاً عمرانياً في داخل وأطراف المدينة، وظهور

أحياء جديدة لا نعرف لها اسم حتى الآن . جولات ومشاهدات الباحث في ربوع منطقة خميس مشيط .

تقع محافظة خميس مشيط في سهل صخري ورملني منبسط يظهر فيه بعض الجبال متوسطة الارتفاع، وهضاب وأودية متوسطة العرض والطول، ونلاحظ انتشار بعض الأشجار والنباتات في مواطن عديدة من هذه المحافظة، ويوجد أجزاء كثيرة من أراضيها يغلب عليها الطبيعة الزراعية^(١). أما مناخ الخميس فهو معتدل في الصيف، وأحياناً ترتفع درجة الحرارة، وفي الشتاء بارد نسبياً، وتسقط الأمطار في فصلي الخريف والصيف، ويظهر الضباب على بعض أجزاء المحافظة الغربية والجنوبية الغربية^(٢).

وحياة سكان محافظة الخميس الاجتماعية تختلف اليوم عما كانت عليه في السابق. ففي الماضي كانوا يعيشون حياة البساطة في منازلهم، وملابسهم، وطعامهم وشرابهم وكثير من نشاطاتهم اليومية. كما كانوا أكثر تآلفاً وتقاربًا في مجالاتهم الاجتماعية والترفيهية، ولديهم الكثير من الأعراف والعادات والتقاليد التي يسودها المحبة والتآزر والتكاتف وطبقات المجتمع يغلب عليها الحياة البدوية، فأغلبهم من فخوذ وبطون عربية، ويشاركهم في بلدة خميس مشيط بعض العناصر غير العربية، والتي ربما وفت إلى أرض شهوان بحثاً عن الرزق، فتراهم يعملون في منازل الأغنياء والوجهاء والتجار وشيخوخ القبائل وغيرهم من أصحاب المال والجاه^(٣).

(١) في الماضي كانت منطقة خميس مشيط من أغنى الأراضي الزراعية في منطقة عسير، وذلك لجودة تربتها ووفرة مياهها . أما اليوم فالحياة الزراعية تراجعت كثيراً في عموم المنطقة الجنوبية السعودية، وتحولت كثيراً من الأراضي الزراعية إلى مخططات عمرانية وأحياء سكنية، وهناك أراض زراعية أخرى أهملت ولم يقم أهلها على زراعتها وخدمتها لانشغالهم بأعمال حكومية وتجارية أخرى . المصدر: مشاهدات الباحث حولاته في ربيع الجنوب السعودي خلال العشر سنوات الماضية المتأخرة .

(٢) نادرًا ما نرى الضباب على الأجزاء الشرقية، من المحافظة، أما أجزاءها الغربية المتداخلة مع مدينة أبها أو شعف شهوان وأجزاء من محافظة أحد رفيدة فيغطيها الضباب أحياناً في فصلي الشتاء والصيف . مشاهدات الباحث خلال العقود الأربع الماضية المتأخرة .

(٣) دراسة طبقات المجتمع في محافظة خميس مشيط، أو في مناطق عسير، أو جازان، أو نجران، أو الباحة خلال القرنين (١٢-١٩ هـ / ٢٠-٢٠ م) من الموضوعات الجديدة التي تستحق أن يفرد لها دراسات علمية أكاديمية موثقة في هيئة كتب أو رسائل علمية جامعية . أما التاريخ الاجتماعي لمحافظة خميس مشيط خلال المئة عام الماضية فهو موضوع آخر يستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه، ونأمل من الزملاء في أقسام التاريخ وفي شعبة الدراسات العليا في جامعات المناطق الجنوبية السعودية وبخاصة في جامعة الملك خالد أن يكلفو أحد الطلاب الجادين فيدرس هذا الموضوع من خلال رسالة دكتوراه، ومن يفعل ذلك فسوف يطلعنا على صفحة من صفحات التاريخ الحضاري الحديث في منطقة عسير .

لقد قمت بجولة في ربوع محافظة خميس مشيط خلال الشهور الأخيرة من عام (١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م) فشاهدت صوراً عديدة تصب في ميدان التاريخ الاجتماعي الحديث، وهي على النحو التالي:

١. السائح في مدينة خميس مشيط، ثم في القرى والمراکز المحيطة بها يجد كثافة السكان فيها عالية، فعند ذهابك إلى سوق تجاري كبير أو صغير، أو جامع كبير، أو مسجد صغير، أو أي تجمع سكاني في بيوت سكنية أو صناعية أو غيرها فإنك تلاحظ خليطاً بشرياً من شتى الجنسيات العربية وغير العربية^(١). وإذا درست تاريخ محافظة الخميس البشري تجد الأرض ملكاً لبعض القبائل الشهيرات الرئيسية مثل: آل رشيد ومنهم أسرة آل مشيط التي فيها مشيخة عموم قبائل شهران . وهذه العشيرات تقطن منذ زمن بلدة خميس مشيط الرئيسية، ولهم فروع أخرى في المناطق المحيطة بالمدينة. وآل الغمر الذين ربما جاءوا من بلاد قحطان واستقروا في محافظة خميس مشيط وانتسبوا إلى قبائل شهران، وكثير منهم اليوم يعيشون في الشمال الغربي من مدينة الخميس. ومن مراكز المحافظة الرئيسية : العمارة، والرونة، وتندحة، ووادي ابن هشبل، ويعرى، وخوير الجنوب^(٢). وغالبية العمارة والرونة من آل رشيد وبعض قبائل شهران الأخرى، وتندحة وسكانها من كود^(٣) وأل رشيد ويوجد بها قرى كثيرة تقع على ضفاف واديهما، وهذا الوادي يصب في وادي ابن هشبل . وبنو بجاد ويسكنون في وادي ابن هشبل إلى الشمال من خميس مشيط، وهذا الوادي ووادي تندا مشهورين بخصوصية أرضهما وغزاره مياههما، ويعمل سكان هذين الواديين بالزراعة ورعي الأغنام بالإضافة إلى انحرافات أكثرهم في عمل الوظائف الحكومية^(٤). ويعرى أحد مراكز محافظة الخميس،

(١) نجد خلال العشرين سنة الأخيرة تزايد الجنسيات الوافدة إلى عموم المملكة العربية السعودية ومحافظة خميس مشيط من المدن الرئيسية في المملكة، ومن ثم فأعداد الجنسيات العربية وغير العربية الوافدة إلى هذه الحاضرة الجنوبية عالية جداً، والسبب يعود إلى النشاط الحضاري والتجاري الكبير الذي تعيشه هذه المدينة السعودية الجنوبية . مشاهدات الباحث خلال العشرين سنة الماضية.

(٢) قمت بجولة في هذه المراكز خلال شهور رمضان، وشوال، وذي القعدة عام (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م). ولبي في هذه البلاد طلاب كثيرون، وقد تزوجت عندهم وخالطتهم وعرفت بعض أعراضهم وتقاليدهم . كود من قبائل شهران، ويقطنون في أرضهم المنسوبة إليهم وتقع إلى الشرق والشمال الشرقي من مدينة خميس مشيط، ويشاركون إخوانهم في تندا وخوير، ولهم نشاط زراعي ورعوي . مشاهدات الباحث في عام (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م).

(٤) في الماضي كانت الزراعة والرعي من المهن الرئيسية لسكان هذين الواديين (تندا وابن هشبل)، ومنذ ربع قرن اتجه الكثير من أبناء وبنات هذين الواديين إلى التعليم والوظائف الحكومية، ومن ثم تراجعت مهن الزراعة والرعي كثيراً، مع أنه ما زال منهم نسبة قليلة يمارسون هذه المهن الاقتصادية .

وتقع إلى الشمال من مدينة الخميس، ما بين وادي هشبل والمضة، ويسكنها قبائل ناهس وكود من شهران، وقرى يعرى عديدة ومتناشرة وتقع على ضفاف وادي يعرى، وهي منطقة زراعية ورعوية^(١). وخيبر إلى الشمال الشرقي من مدينة الخميس، ومن سكانها كود وبني واهب، وهي أراضي زراعية، ومناخها حار صيفاً ويزرع أهلها الحبوب والفاكه والخضروات^(٢).

ونخلص من الحديث عن التركيبة البشرية لمحافظة الخميس مشيط إلى استطاع سكانها الأصليين في مواطنهم الرئيسية، وهذا ما ذكره معظم الرحالة وكتاب التاريخ وما رأيناه وشاهدناه. لكن التنمية والتطور الحضاري الذي تمر به المملكة العربية السعودية خلال الأربعين العقود الماضية جعل ديموغرافية هذه المحافظة تتغير، فهاجر أبناء القرى والبوادي من بلادهم واستوطنوا مدينة الخميس مشيط، كما أنشئ في الخميس العديد من المؤسسات الحكومية مثل: مدينة الملك فيصل العسكرية وغيرها من الإدارات الحكومية الأخرى، وتزايدت المدارس والمعاهد والكليات، وهذا مما جعل كثير من خارج بلاد شهران أو عسير يأتون إلى هذه المحافظة للعمل في مؤسساتها الحكومية والأهلية ثم الاستقرار فيها. وأيضاً النشاط التجاري والصناعي والحضاري الذي تشهد هذه المحافظة جعل كثيراً من العمالة والموظفين والفنين العرب وغير العرب يأتون إليها للعمل والإقامة. وعندما تسير في أرجاء هذه المحافظة وبخاصة المدينة الرئيسية فإنك سوف ترى أمواجاً بشريّة مختلفة في ألوانها، ولهجاتها، وأعراها وتقاليدها ونمط حياتها^(٣).

وإن درسنا تركيبة الأفراد، والأسر، والمجتمع وعلاقتهم ببعضهم مع بعض فإننا سوف نجد الكثير من التغيرات، حيث الأفراد والأسر اليوم اختلفوا كثيراً عن الماضي،

(١) مشاهدات الباحث في نهاية عام ١٤٢٧هـ / ٢٠١٦م.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) دراسة مجتمع محافظة الخميس مشيط من الموضوعات الجديدة، والجديرة أن يفرد لها عدد من الدراسات الاجتماعية والتاريخية والحضارية، والمتوجول في أرجاء هذه المحافظة وبخاصة مدينة الخميس في نهاية الأسبوع وفي الإجازات الأسبوعية، أو أيام العيد، أو في ليالي رمضان سيرى أعداداً كبيرة من البشر بعضهم من سكان المنطقة الجنوبية، وكثير منهم من العمال والموظفين غير السعوديين والوافدين إلى هذه البلاد للعمل في مؤسساتها الحكومية والأهلية. وأقول إن مجتمع محافظة الخميس يختلف بالأعداد والكثرة عن أي مجتمع في جنوب البلاد السعودية، وهو فعلاً جدير بالدراسة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية، ونأمل أن نرى من طالباتنا وطلابنا في جامعة الملك خالد من يتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة.

فكانوا أكثر تقاربًا وتلاحمًا، وجل أعمالهم تدور في فلك الرعي، والجمع والالتقاط، والزراعة، ونسبة قليلة مارسوا التجارة وبعض الحرف والصناعات الأخرى. أما اليوم فاتسعت الحياة على الناس، وصاروا أكثر أموالاً، وتعددت مهنتهم، وتفرقوا أماكنهم بسبب التطور الذي ساد البلاد في التعليم والوظائف والتجارات وغيرها^(١).

وأثناء سيري في مناكب هذه المحافظة الجنوبية لاحظت بعض الصور الحضارية الاجتماعية الأخرى، مثل: أنواع العمارة، وطبيعة الطعام والشراب، واللباس والزينة لأهل هذه الناحية . فالحديث عن العمارة يحتاج إلى مئات الصفحات، وإن قصرت مشاهدتك على مدينة خميس مشيط فإنك سوف تتبهر بأنواع عمارتها وأحيائها وشوارعها وأسواقها، فقد تعددت أدوار البيوت الخاصة، أما العمارات التجارية فترى طوابق بعضها يصل إلى العشرة وخمسة عشر طابقاً، والأسواق الصغيرة والكبيرة ومنها العالية الكبيرة في ارتفاعها أو في مساحتها الأفقية، ناهيك عن معروضاتها فالإنسان يعجز عن الإلام بأنواعها وأحجامها وأشكالها، أما أحياء المدينة وشوارعها فهي الأخرى علامة مضيئة في تنمية وتطور مدينة خميس مشيط^(٢) .

ناهيك عن عشرات الجوامع والمساجد، والمدارس الحكومية والأهلية، والمستشفيات والمراكز الصحية، والكليات الجامعية، وثكنات الجيش والمطار العسكري، والمدينة الصناعية، والمؤسسات الإدارية في أبنية حكومية وأهلية، وكذلك الفنادق والصالات

(١) ضريبة التنمية والتطور باعدت بين الأفراد والأسر، فأفراد الأسرة الواحدة (نساء ورجالاً) أصبحوا متفرقين في المنطقة الواحدة بل في أنحاء البلاد السعودية، وبعدهم ربما خرج إلى خارج المملكة بسبب الدراسة، أو التجارة أو الوظيفة وأحياناً العلاج . بعد أن كان أفراد الأسر في الماضي لا يفارقون منزليهم وفريتهم أصبحوا اليوم متفرقين في أصقاع عديدة من الأرض، كل يسعى لكسب رزقه، وخدمة نفسه وأهله . وما شاهده الباحث في محافظة خميس مشيط يسري على كل النواحي والبلدان والمدن والمناطق في المملكة.

(٢) أشرنا في صفحة سابقة إلى بعض الأحياء الجديدة في مدينة خميس مشيط، أما الشوارع الرئيسية والفرعية في المدينة فقد أحصينا بعضها مثل: (١) طريق الملك فيصل الحرام . (٢) شارع الملك فهد المؤدي إلى أنها . (٣) شارع الأمير سلطان الذاهب إلى الرياض . (٤) شارع الملك عبد الله وسط المدينة . (٥) شارع أبي بكر الصديق . (٦) طريق الملك خالد الذاهب إلى المدينة العسكرية ومحافظة أحد رفيدة . (٧) شارع الإمام محمد بن سعود في حي الدرب الشرقي . (٨) شارع المدينة المنورة في حي طيب الاسم . (٩) شارع الملك سعود الذاهب إلى بيشة . (١٠) شارع بريدة في حي السد . (١١) شارع سعيد بن مشيط وسط البلد . (١٢) شارع ورقة بن نوفل وسط حي شباعة . (١٣) شارع الخليج، وأبو العلاء، وأبو العناية في حي الربع . (١٤) شارع الخبر، وشارع صلاح الدين في حي عتود . (١٥) شارع الكويت في حي أم سرار . وهناك عشرات الشوارع الصغيرة التي تربط الأحياء بعضها مع بعض، أو تربط أجزاء الحي الواحد . المصدر: مشاهدات الباحث وجولاتة في مدينة خميس مشيط.

والمنتجعات فكل هذه الأنواع من العمارت المتناثرة على أرض حاضرة الخميس^(١). ومن يذهب إلى أرياف وقرى محافظة الخميس فإنه سيرى الكثير من الأبنية الحديثة في كل مكان، وسيلاحظ أحياء سكنية متطرفة في بنائها وخدماتها وطرقها في جميع مراكز المحافظة مثل: تندحة، ووادي بن هشبل، ويعرى، وخبير^(٢).

أما الطعام والشراب فهو متوفّر في جميع المطاعم الصغيرة والكبيرة داخل مدينة الخميس وخارجها، ولم يَعُدُ الشراب والطعام محصوراً في أطعمة محددة كما كان في السابق، فالمزارع وحبوبها كانت المصدر الرئيسي للطعام، وكذلك ما يحصلون عليه من حيواناتهم الأليفة مثل: اللحوم والألبان والزبد. وكانت ترد إلى أسواق الخميس الأسبوعية بعض الأطعمة المستوردة من مناطق عديدة في المملكة العربية السعودية^(٣). **وقد لاحظت أموراً عديدة على أطعمة وأشربة سكان محافظة خميس مشيط في عصرنا الحاضر، ونذكر منها ما يلى :**

أ. معظم الناس والأسر في المدينة والقرى يجلبون مواد الأكل والشرب من الأسواق الموجودة في كل مكان، ثم يقومون بطبعي أطعمتهم في منازلهم، ومنها الأطعمة النباتية مثل: الفاصولياء، والبامية، والكوسة، والبازنجان، والطماطم، والبطاطس وغيرها، ومنها الأطعمة المصنوعة من اللحوم والأرز والحبوب والبقوليات، ويقدم مع جميع هذه الأطعمة مشروبات عديدة، مثل: الماء، والعصائر، وبعض الإدامات السائلة كالشوربة والمرق، وبعض الفواكه والحلويات وغيرها^(٤).

(١) ليست هذه العمارت محصورة في وسط مدينة خميس مشيط، ولكن في جميع أنحاء المدينة من أحد رفيدة جنوباً إلى العمارة وأطراف وادي بن هشبل وتندحة شمالاً. والحديث عن هذه التنمية العمرانية يحتاج إلى مئات الصفحات، وتأمل من أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد أن يأخذ من تاريخ العمارة في حاضرة خميس مشيط موضوعاً لأطروحته العلمية في إحدى درجتي الماجستير أو الدكتوراه.

(٢) من يقوم بدراسة العمارة القديمة والحديثة في محافظة خميس مشيط خلال الخمسين سنة الماضية، فإنه بدون شك سوف يطلعنا على معلومات قيمة وجديدة بالقراءة والنشر.

(٣) من يطالع مدونات الرحالة الذين جاءوا إلى خميس مشيط في القرنين (١٤٠١٢-٢٠١٩هـ)، ومن يدرس بعض الوثائق والسجلات المحلية في منطقة عسير، أو يبحث في تاريخ الأسواق الأسبوعية وبخاصة سوق خميس مشيط الرئيسي فإنه سيجد أسماء كثيرة من الأشربة والأطعمة التي كانت تباع في هذه الأسواق، وسوف يقرأ بعض التفصيلات عن الأماكن التي جُلبت منها وكذلك أوزانها وأشكالها وأسعارها. ونقول إن دراسة الأسواق الأسبوعية في بلاد شهار من الموضوعات الجديدة، و تستحق دراسات علمية أكاديمية.

(٤) دخلت أكثر من منزل في مدينة خميس مشيط، وفي تندحة، ووادي ابن هشبل، وخبير، ويعرى، ورأيت أن معظم الناس يعيشون في خير كثير، فتراهم يقدمون في وجبات الإفطار، أو الغداء، أو العشاء، أنواعاً عديدة من الأشربة والأطعمة، التي معظم موادها مجوبة من الأسواق الصغيرة والكبيرة في المحافظة

بـ. السائح في أحياء مدينة خميس مشيط، أو في معظم مراكز المحافظة يشاهد المطاعم والبوفيهات الصغيرة والكبيرة في كل مكان، وعندما ننظر إلى قوائم الأشربة والأطعمة في كل مطعم نجد فيها الأكل بالنكهات العربية السعودية، أو الشامية، أو اليمنية، أو المغربية، أو السودانية، أو المصرية . كما أن هناك أطعمة صينية، أو هندية، أو إندونيسية، أو أوروبية . ومثل هذه الأنواع من الأطعمة توجد في الفنادق والمطاعم الكبيرة . بل هناك مطاعم متخصصة في الأكلات الشعبية السعودية أو اليمنية، أو في بعض الأطعمة الهندية والصينية . وأحياناً يجد الإنسان نفسه في حيرة كبيرة من الأطعمة التي يختارها لكثرة أنواعها وأسمائها في قوائم بعض المطاعم الكبيرة^(١) .

جـ. نرى في بعض الأسواق الشعبية، أو المراكز التجارية الكبيرة في المحافظة، وأحياناً على قارعة بعض الشوارع والطرق نساء سعوديات، وأحياناً رجالاً أو شباناً سعوديون يعرضون بعض الأطعمة والأشربة المطهية في المنازل ثم عرضها للبيع . وقد التقى بعض الشباب الذين يمارسون هذه المهنة فذكر لي أحدهم أن والدته وأخواته ومعهم بعض الخادمات في المنزل يقومون بإعداد هذه الأطعمة، وهي في الغالب أقراص من خبز الحنطة، أو العصيد المحلي، أو الجريش، أو السمبوسة وغيرها وهي مصنوعة من اللحوم الدقيق وبعض المكونات الأخرى^(٢) .

كما حضرت أيضاً بعض المناسبات الاجتماعية الكبيرة مثل: الزواجات، والأعياد، واستقبال الضيوف، فالجميع يقدمون لحوم الأغنام أو الجمال ومعها الأرز، وبعض الأطعمة الأخرى المصنوعة من الخبر أو العصيد، بالإضافة إلى فواكه وأشربة عديدة . والملحوظ أن أطعمة الناس وأشربتهم اليوم مستوردة من خارج المنطقة الجنوبية وأحياناً من خارج المملكة العربية السعودية، وهذا يختلف عما كان عليه الأوائل فالكثير من أطعمة وأشربتهم كانت محلية من مزارعهم وحيواناتهم . **المصدر: مشاهدات الباحث حولاته في أجزاء عديدة من بلاد شهان خلال الشهور الأخيرة من عام ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م** .

(١) هذا ما عرفته وشاهنته في أرجاء محافظة خميس مشيط خلال جولتي فيها شهر شعبان وشوال عام ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م . كما أن معظم القائمين في إعداد الأطعمة بجميع المطاعم والبوفيهات من العمالة الوافدة وبخاصة من اليمن، والهند، والبنجلاديش، والباكستانيين، والمصريين، واللبنانيين، وأحياناً المغاربة والسوريين، والإندونيسيين والفلبين . ونادرًا ما ترى أحد من السعوديين يعمل في هذه الأماكن الخاصة بإعداد الأشربة والأطعمة .

(٢) مشاهدات الباحث في أجزاء من محافظة خميس مشيط خلال شهور شعبان، وشوال، وذو القعد عـام ١٤٢٧هـ / ٢٠١٦م . وهذه العادات شاهدتها أيضاً في أماكن عديدة من مناطق عسير، وجازان، ونجران، والباحة، ونواحي أخرى من أرض تهامة والسرة . كما أن أسعار هذه الأطعمة رخيصة فالقرص الواحد من الخبز، أو الكمية الكافية لشخصين من العصيد أو الجريش لا تتجاوز أسعارها العشرين ريالاً، ونادرًا يصل إلى الثلاثين ريالاً .

د. نشاهد رغد العيش على عموم سكان محافظة خميس مشيط، نعم هناك تفاوت في معيش الناس، فالأغنياء والشيوخ والطبقات العليا والوسطى يعيشون حياة أفضل في مأكلهم ومشربهم . والطبقة السفلية يستطيعون العيش، والحصول على الطعام والشراب مع أن في هذه الطبقة فقراء كثيرون من الأفراد والأسر، فقد لا يتوفّر لهم المال، ويتعذّرون في الحصول على السكن المناسب، أو الحصول على الدواء، وتعلّم بناتهم وأبنائهم، كما لاحظت صوراً من البذخ والإسراف والتبذير عند نسبة غير قليلة من الطبقتين العليا والوسطى وبخاصة في إعداد لائمهم ومناسباتهم الاجتماعية كالزواجات، وإكرام الضيوف وغيرها . ونقول لهذه الفئات أن يتقدّم الله بالإسراف محروم ومذموم، نعم إكرام الضيف من الصفات الحميدة، لكن بدون مبالغة وتبذير وعلى من ينفقون أموالاً كبيرة في إعداد مناسباتهم أن يراعوا مخافة الله، وأن يلتفتوا إلى إخوانهم المحتاجين في مجتمعهم فيصرفوا شيئاً من أموالهم على هؤلاء الفقراء والمحتاجين، وإن فعلوا ذلك فهم سائرون في طريق البر والخير، بدلاً من الإسراف والمبالغات فيما يغضب الله (عز وجل) ^(١) .

أما ألبسة الناس وزينتهم فهي باب واسع لكثرة وتنوع أنواع اللباس والزينة عند جميع طبقات وفئات المحافظة، وأذكر بعض مشاهداتي في النقاط التالية :

أ.قرأنا وشاهدنا في السابق محدودية أنواع اللباس والزينة، لقلة المال في أيدي الناس، وبساطة حياة الناس، فترى معظم الرجال والشباب يقتصرُون في ألبستهم على (الدسمال)، والثوب أو الثوبين، وأحياناً على بعض الألبسة الداخلية، وأحذية رخيصة رديئة الصنع، وبعض الملابس الأخرى للحصول على بعض الزينة أو التدفئة مثل: العباءات، والملاحف، والأكوات، والماشالح لكتار السن أو بعض الأعيان والوجهاء. كما أن زينتهم لا تخرج عن لبس بعض الأحزمة، والعقال أحياناً، وربما استخدم بعضهم أغصان الأشجار مثل: الريحان، والكافوري، والشيح في عيائمهم أو جيوبهم، وقد يلبس بعضهم ساعة في اليد، أو يحمل مسبحة في جيبيه ^(٢) . أما النساء والفتيات الصغيرات

(١) مشاهدات الباحث وحواته في محافظة خميس مشيط وفي نواحي عديدة من مناطق الباحة، وعسير، والقنفذة، وحازان، ونجران خلال الأعوام الأخيرة (١٤٢٥-١٤٣٧ـ٢٠٠٤هـ).

(٢) ألبسة الرجال والشباب في القرن الرابع عشر الهجري بسيطة، وهناك بعض الأسر ميسورة الحال، أو بعض الأغنياء والوجهاء الذين كانوا يمتلكون أنواعاً عديدة من الزينة واللباس، أما عموم الناس فتراهم متقاربين في نوعية لباسهم وزينتهم. للمزيد من التفصيلات انظر عدداً من كتب الرحالة الذين ورد ذكرهم في مقدمة هذا القسم، وانظر غيثان بن جربس. عسير (١٤٠٠ـ١١٠٠هـ) (جدة: دار البلاد، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص ٧٤ـ٦٥. وانظر أجزاء عديدة من سلسلة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عشرة مجلدات).

والكبيرات، فلم يكن أحسن حالاً من الرجال والشباب إلا أن المرأة تحتاج إلى ألبسة أكثر لتعطية جسدها، فهي تلبس بعض الثياب، والعباءات والأققعة، ويرتدي بعضهن القباء المصنوع من الجلد، أو أردية أخرى تقيهن شدة البرودة، أو حرارة الشمس، وبعض النساء أحوال أسرهن ميسورة فيلبسن بعض الألبسة المختلفة في ألوانها وأشكالها ونوعيات صنعها . وحتى نهاية القرن (١٤٢٠هـ / ٢٠١٤م) كنا نشاهد ألبسة وأقمشة نسائية تباع في الأسواق الأسبوعية، وبعض الدكاكين الصغيرة في القرى والبلدات، كما رأينا بعض الخياطين لأنفسهن وأفراد أسرهن^(١) .

بـ. أما اللباس والزينة في محافظة خميس مشيط في وقتنا الحاضر، فيصعب على الإنسان الإمام بها . ومن يتجول في أسواق الملابس والأقمشة في مدینتي خميس مشيط، وأبها، أو بعض البلدات والقرى المحبيطة بهما فإنه يعجز في حصر أنواع الألبسة الجاهزة للرجال والنساء، والشباب والشابات، وكذلك الأقمشة الكثيرة والمختلفة في نوعيتها وألوانها ومصادر صناعتها فهي الأخرى موضوع واسع وكبير^(٢) . والرجل السعودي في محافظة الخميس يلبس الثوب، والفترة، والعقال، والألبسة الداخلية من الفنايل والسرافيل، والأكواط الطويلة والقصيرة، والبشتون والمالح في المناسبات الاجتماعية والرسمية، ومن الشباب وصفار السن وأحياناً بعض الكبار من يلبس البنطال، وملابس الرياضة، وقد يغطي الرأس بالطاقة (القبعة) أو (الковية)، وهناك من يلبس قبعاً أو طربوشًا على الرأس^(٣) .

أما غير السعوديين فأغلبهم وربما جمיהם يلبسون القميص والبنطال، وهناك من يلبس ربطة العنق وبخاصة الذين يعملون في مكاتب أو شركات كبيرة، أو من كبار

(١) تاريخ لباس وزينة النساء قد يبدأ من الموضوعات الجيدة، ومن يدرس هذا الموضوع في منطقة عسير خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، فلن يواجه صعوبة كبيرة، لأن هناك الكثير من الكتب والوثائق والرواية الذين يعرفون هذا التاريخ، ومن ثم فالباحث والتأليف في هذا الباب ميسورة، ونأمل أن نرى أحد من طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد أو غيرها من الجامعات السعودية فيتخذه موضوعاً في رسالته للدكتوراه أو الماجستير .

(٢) مشاهدات الباحث وجولاتة في بعض أسواق أبها وخميس مشيط خلال عام (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) .
 (٣) شاهدت تنوع الألبسة وتعدد أشكالها عند الرجال السعوديين وغير السعوديين، ومن يذهب إلى أسواق الملابس الرجالية أو أماكن الخياطين فإنه سوف يشاهد أصنافاً كثيرة من حيث اللون، وأنواع التفصيل، والغاية من كل لباس، وهناك ألبسة رسمية، وأخرى شعبية، وألبسة تلبس في الليل وأخرى في النهار، أو للرياضة، أو للسياحة وغيرها .

القسم الرابع: محافظة خميس مشيط بين القراءة والمشاهدة ورصد معظم الأماكن الجغرافية

العمال مثل: المهندسين، والمديرين، والسكرتارية وغيرهم^(١). وجميع الرجال والشباب يلبسون أنواعاً عديدة من الأحذية والجذم، وجميعها مصنوع في الداخل والخارج من المملكة العربية السعودية، وتختلف في أنواعها، وألوانها، وأسعارها، وأماكن صنعها^(٢).

ج. ألبسة النساء لا تقارن مع لباس الرجال، فأغلب الأسواق في محافظة خميس مشيط خاصة بالنساء والأطفال، ومن يدخل أي سوق كبير فإنه يتعجب من كثرة وتعدد الألبسة النسائية، ومعظمها مصنوع في نواح عديدة من العالم . وكوني من سكان المنطقة الجنوبيّة، ولنا أصدقاء وأقرباء و قريبات، ونشاهد النساء في منازلنا، وفي الأسواق، ونقف على الكثير من ألبسة النساء وزينتهن في الأسواق، فإننا نلاحظ مئات الأنواع من الألبسة الخارجية، والبيجامات، والصديرات، والسرافيل، والفنائل، وأربطة الرأس، وكذلك الألبسة الخاصة بالزوجات والسهرات والمناسبات الاجتماعية فهي كثيرة جداً ومتعددة الألوان، والأحجام، والأسعار^(٣). وأحذية النساء والفتيات فقد فاقت أحذية الرجال، من حيث كثرتها، وتنوع أحجامها، وأسعارها، وألوانها، وطرق لبسها، ومناسبات استخدامها^(٤).

د. واكب ألبسة الوقت الحاضر بعض السلبيات، ففي عالم الرجال والشباب ترى من يلبس ألبسة غير لائقة للمكان والزمان، فهناك من يلبس بنطلاً قصيراً أو قميصاً عليه بعض الصور ويذهب لأداء الصلوة، أو الالتقاء ببعض الزملاء في أماكن عامة، أو

(١) تأثر السعوديون بغيرهم، فالبعض منهم يلبس البنطال والقميص، أو البدلات الكاملة مع ربطة العنق، أو بعض الألبسة الرياضية، وترى هذا النوع من الناس في الأسواق، والمؤسسات الإدارية، والجمعيات العامة، وأيضاً في المساجد . مشاهدات الباحث في منطقة عسير خلال عام ١٤٢٧هـ ٢٠١٦م .

(٢) من يزور أي سوق للأحذية في مدينة خميس مشيط، أو بعض محلات التجارية المتداولة في عموم المحافظة، أو في حاضرة أبيها فإنه سيلاحظ أنواعاً كثيرة من الأحذية والجذم المتفاوتة في أحجامها، وألوانها، وأسعارها . مشاهدات الباحث وجولاته في حاضرة أبيها خلال عام ١٤٢٧هـ ٢٠١٦م .

(٣) مشاهدات الباحث وجولاته في عدد من الأسواق في محافظة خميس مشيط، وحضوره بعض المناسبات، وسماعه بعض الروايات عن ألبسة النساء وبخاصة في الأعراس والمناسبات الاجتماعية المختلفة ونقول إن تاريخ لباس النساء في الماضي والحاضر من الموضوعات الجيدة، حيث أن نرى إحدى طالباتنا في برنامج الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فتتóżع من هذا الموضوع عنواناً لرسالتها درجتي الماجستير أو الدكتوراه .

(٤) نعم هناك أحذية نسائية متنوعة مثل: أحذية السهرات والزواجات، وأحذية السفر والسياحة، وأحذية الرياضة أو المشي في الأرضي السهلة أو الوعرة، وأحذية للعمل وغيرها . وليس كل النساء يمتلكن كل هذه الأحذية، لكن نساء الأسر الفنية وميسوري الحال هن من يمتلكنها . أما عموم النساء فيوجد عندهن العديد من الأحذية والجذم التي يتبادلن بينها داخل المنزل وخارجها .

مجالس يحضرها أناس من أهل الصلاح والفضل والاتزان. ونشاهد مثل هذه الألبسة منتشرة في جيل الشباب، أو من رجال في الثلاثينيات أو الأربعينيات من أعمارهم . وهناك نساء وشابات يلبسن ألبسة غير ساترة في الأسواق أو بعض المناسبات الاجتماعية، وقد سمعت من راويات عديدات يتحدثن عن بعض النساء في الأعراس أو بعض الحفلات، فيذكرن أنهن يلبسن ألبسة عارية تظهر معظم الجسد، ومثل هذه الأنواع من الألبسة تخدش الحياء، وتوقعن في محظورات شرعية . ومن يذهب إلى أسواق ملابس النساء، فإنه فعلاً يشاهد ألبسة فاضحة فلا تستر من الجسد إلا الشيء اليسير^(١).

هـ. لا يخلو مجتمع محافظة الخميس من أسر فقيرة، فلا يملك رجالها ونسائهما إلا الشيء القليل من الألبسة، وبعضهم يعيشون على الصدقات أو ما يصلهم من أهل الخير في هيئة أموال نقدية أو ملابس وملحق مختلف^(٢). كما أن نسبة كبيرة من الطبقة الوسطى في المجتمع تراهم معتدلين في ألبستهم وأدوات زينتهم^(٣).

و. الزينة عند الرجال والنساء جيدة، لتتوفر الكثير من أدوات الزينة في الأسواق، بل هناك أقسام كبيرة مستقلة تشمل على كل ما يخدم زينة الرجل والمرأة . فالألبسة كثيرة ومتعددة، ومراكم الذهب، والعطور والمساحيق في كل مكان^(٤). كما يوجد هناك مراكز طبية تجميلية في مدينة الخميس مشيط، ولها زبائن كثيرون يتربدون عليها من أجل التطبيب والتزيين^(٥).

(١) مشاهدات الباحث ومعاصرته للحياة الاجتماعية في منطقة عسير منذ ثلاثة عقود، وقد ذهب وتجولت في بعض أسواق الخميس مشيط ورأيت بعضاً من هذه الملابس الفاضحة التي لا تستر إلا جزءاً يسيراً من جسد المرأة .

(٢) هذه الفئات الفقيرة موجودة في محافظة الخميس وغيرها من مناطق المملكة العربية السعودية، والجمعيات الخيرية وأهل الفضل والصدقات . لا يتوانون في مساعدة هؤلاء، بل الفقراء أنفسهم يذهبون إلى أهل الفنى واليسار، وإلى الجمعيات ليحصلوا على بعض الصدقات والأعطيات .

(٣) مجتمع محافظة الخميس مشيط، بل معظم المجتمعات السعودية الجنوبية محافظة في كثير من أعرافها الاجتماعية، وتقاليд الألبسة مازالت محافظة ومرعية، وإن كان هناك بعضاً من السلبيات، لكن عموم هذه المجتمعات مازالت بخير .

(٤) تجولت في أرجاء المحافظة فرأيت دكاكين كثيرة تتاجر في الذهب والمعادن والأحجار الكريمة، ومعظم زبائنها من النساء، وأحياناً الرجال والشباب . كما يوجد أقسام كبيرة في الأسواق خاصة بأدوات التجميل، وتتراوح أسعارها من عشرات الريالات إلى الآلاف .

(٥) زرت بعضاً من مراكز التجميل في الخميس مشيط، فوجدت أنهم يقومون بالعديد من الأعمال الطيبة التجميلية للرجال والنساء، كما أن أسعارهم عالية فأحياناً تدخل في خانة آلاف الريالات . وهناك مراكز نسائية كثيرة في أرجاء حاضرة الخميس تعتمد بالبشرة والشعر عند النساء، والقائمون عليها من النساء، كما يوجد مراكز طبية أخرى متخصصة في العناية بالأنسنان والعيون . جولات الباحث ومشاهداته في الشهور الأخيرة من عام (١٤٢٧هـ/٢٠١٦م).

هناك العديد من الأعراف والعادات الإيجابية والسلبية التي يعيشها سكان محافظة الخميس، ومن تلك التقاليد ما يلي:

أ- الزواج: كان الزواج في الماضي سهلاً ويسيراً في إجراءاته وتكلفه مثل المهر، وكسوة الزوجة وأهلها، والأثاث الذي تحتاجه الزوجة يوم عرسها أو في منزل زوجها، وفي إعداد الولائم يوم الزواج^(١). أما اليوم فالبحث عن الزوجة ثم الاتفاق بين الطرفين وعقد القران لا يختلف كثيراً عمّا كان عند الأوائل^(٢)، لكن تكاليف الزواج هي التي جرى عليها تبديلات كثيرة، فالمهر غالباً عالياً فلا يقل عن خمسين وربما زاد إلى السبعين والمئة ألف ريال^(٣)، ومصروفات أخرى كثيرة تتفق على إيجار الفنادق أو صالات الأعراس، وعلى الولائم والأطعمة التي تقدم يوم الزواج، وفي معظم الزواجات يجلب فرق فنية عند النساء تضرب الطبول، وتقول بعض القصائد والآنسيد، وكل هذه العادات تستوجب إنفاق عشرات الآلاف، وأحياناً تتجاوز المئة ألف ريال عند بعض الأسر الغنية والبالغة في حفلاتها وزواجاتها^(٤).

(١) هناك بعض الدراسات التي فصلت تاريخ الزواج في منطقة عسير وماجاورها، وللمزيد انظر:، غيثان بن جريس. عسير (١١٠٠ - ١٤٠٠ هـ)، ص ٨٥-٧٨.

(٢) بلاد الخميس أرض إسلام، ومن ثم فالعادات المتتبعة في إجراءات الزواج منذ بداية البحث عن الزوجة حتى عقد القران تكون واحدة أو متشابهة، وقد ورد الحديث عنها في كتب الفقه والحديث ومصادر ومراجع أخرى.

(٣) المهر في محافظة الخميس تتراوح اليوم بين (٤٠ - ٦٠) ألف ريال، وهناك أسر ربما تطلب أقل، وأخرى تطلب أكثر حسب الظروف والقناعات لكل أسرة . والباحث اطلع على وثائق عديدة عند بعض قبائل شهان مثل: آل رشيد، وناهس، وكود، وبمود تاريخها إلى أوائل هذا القرن (١٥٠٠ هـ / ٢٠٠٠ م)، وتذكر مقدار المهر عند هذه القبائل، وهي تتراوح من (١٥،٠٠٠ - ٢٠،٠٠٠) ريال . ودراسة تاريخ الزواج في بلاد شهران خلال القرنين الماضيين موضوع يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية.

(٤) حضر الباحث بعض الزواجات في قنادق وصالات عديدة في مدينة خميس مشيط، وشاهد أمواجاً بشرية تحضر هذه المناسبات، ورأى أحياناً الإسراف والتبذير في الأطعمة والأشربة التي تقدم . ويوجد أسر أخرى في بلاد خيبر، وتنحية، ويعري، ووادي ابن هشبل، بسطاء متواضعون في إقامة حفلات أعراسهم، وما يواكبها من مصروفات وإجراءات اجتماعية . مشاهدات الباحث في عامي (١٤٢٧-٢٦) . ونلاحظ أن معظم الشباب يجمعون المال وأحياناً يقترضون من البنوك أثداء زواجهم، وكثير منهم يسافرون إلى خارج المملكة لعدة أسابيع أو شهر في الفترة الأولى من زواجهم . وهذه العادة تكاد تكون سارية في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية . ومن المؤسف أننا نلاحظ منذ عقدين ارتفاع نسبة الطلاق في المجتمعات محافظة الخميس، بل في عموم مناطق بلاد تهامة والسراء، ومثل هذه السلبيات كانت قليلة حتى نهاية القرن (١٤٠٠ هـ / ٢٠٠٠ م)، وبعد ظهور الكثير من الضغوط والمتغيرات في حياة الأسر والشباب والشابات، ظهرت مثل هذه الأمراض التي أثرت على تركيبة الأسر والمجتمع . ومثل هذه الموضوعات والسلبيات بحاجة إلى دراسات اجتماعية وثقافية، وهذه مسؤوليات الجامعات المحلية .

وفي السابق يواكب حفلات الزواج رقصات شعبية عند الرجال، مثل: العرضة، واللعب الشعبي، والخطوة، والمسحباني وغيرها، وهناك شعراء شعبيون يحيون تلك الحفلات^(١). وفي السنوات الأخيرة تراجعت هذه الأعراف، وتمارس أحياناً في بعض صالات الزواج لكن بشكل محدود، ومستوى أقل، مما كانت عليه قبلاً، ثلاثين أو أربعين عاماً^(٢).

بـ. التأرـز، والتقـارـب، والتـكـافـل، والتـعاـون : كانت كل هذه الأعـرـاف قـوـية وفعـالـة

في الماضي، يوم أن كان الناس في وضع اقتصادي متواضع، فتراهم جمِيعاً يسألون عن بعضهم، ويتعاونون في كل ما يساعدُهم في كسب عيشهم وأرزاقهم. وعندما تحسنت أحوال الناس المادية، توسعوا في مساكنهم ومعايشهم وأرزاقهم، ومن ثم بدأوا يتفرقون ويبعدون عن بعضهم البعض، وانخفضت نسبة التقارب والتآزر والتكافل. وفي النصف الثاني من عام (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) تجولت في أجزاء عديدة من محافظة خميس مشيط، وجلست مع بعض أعيانها ووجهائها، وتناقشت مع عدد من كبار السن فوجدهم جميعاً يشكرون الله على الفضل والخير الذي عم البلاد، وفي الوقت نفسه يحنون على أيام الماضي لما فيه من ألفة ومحبة بين الناس، وقال أحد المسنين من بلاد تنحية "يا ولدي كنا نعيش على القليل، ونرضى بالقليل، ولم يكن عندنا رواتب ولا أموال أخرى، وكانت منازلنا صغيرة فالأسرة الواحدة المكونة من ثمانية أو عشرة أفراد يعيشون في غرفة أو غرفتين، ولم يكن عندنا وفرة في الطعام والشراب، أو اللباس، لكن جميع الأفراد والأسر في القرية الواحدة متقاربين متعاونين، واليوم يا ابني فاض الخير على الناس، وأصبحت الأسرة الواحدة متفرقة في عدة بيوت، بل بعض أفراد الأسرة خرجوا من قراهم وذهبوا إلى المدن والحضر الكبرى، حتى أنك تتجلو أحياناً في القرية فتجد أغلب منازلها مغلقة، وأحياناً يكون فيها ساكنين، لكن أبواب البيوت مقفلة، ولم يصبح أحد بحاجة أحد، فلا تجد رعاة، أو مزارعين أو غيرهم، كما كانوا في السابق، ونحن يا كبار السن مازلنا نتحسر ونبكي على أيامنا الماضية مع ما كان

(١) تاریخ الفنون الشعبیة في بلاد شهراًن أو محافظة خمیس مشیط من الموضوعات الجديرة بالدراسة خلال قرن من الزمان (١٢٠٠-١٨٨٢هـ/١٩٨٠م). ومن يدرس هذا الموضوع فسوف يجد مادة كثيرة حول الموروث الشعائري والفكري والأدبي عند الشعراء الشعبيين آنذاك، كما سيسعد العديد من الفنانين والرقصات التي كانت تؤدي عند النساء والرجال، ومثل هذا العنوان جدير بالبحث والدراسة.

(٢) هذا ما عرفه الباحث وشاهده في منطقة عسير أو بلاد شهراً من تسعينيات القرن (١٤٢٠هـ). وإنجاد دراسة مقارنة حول الفنون الشعبية في الماضي والحاضر من الموضوعات التي تستحق أن يفرد لها بعض البحوث العلمية.

فيها من تعب وشقاء، لكنها كانت أيام طيبة بأهلها، واليوم تغير كل شيء، وأصبح كل واحد مشغول بنفسه، فلا يسأل أحد عن أحد، وإذا كان هناك من هم متancockون وما زالوا محافظين على بعض الأعراف والتقاليد الجميلة القديمة، فهم قلة، ولا يصلون إلى مستوى ما كانوا عليه الأوائل من الشهامة والمروعة وطيب العشر^(١).

ج - متغيرات اجتماعية أخرى :

أثناء سيري في مناكب محافظة خميس مشيط، والتقائي ببعض رجالها ومنافقها، وجلوسي في بعض مجالس أهلها في مدينة الخميس أو بعض القرى والبواقي، عرفت وشاهدت أشياء عديدة، ذكر أهمها في النقاط التالية :

١. تأثير المال على مظاهر وسلوكيات الناس، فتراهם يركبون سيارات جيدة، ويلبسون ملابس حسنة، ويتحدثون في أمور عديدة وحديثة عصرية . وإن فحصت مستوى الوعي وجدته هشاً وسطحياً، وبخاصة إذا أخذت ذلك لمعايير علمية واجتماعية وثقافية أصلية . نعم تجد الجميع أو الغالبية يحملون شهادات جامعية وربما أعلى أو أدنى، لكن ترف الحياة، وتتوفر الإمكانيات المادية جعلت الجميع لا يفكراً إلا في ذاته، وما يعود عليه من فوائد خاصة دون النظر والتفكير في الآخرين والمصلحة الجماعية، وقد يقول قائل إن هذا قول كذب وافتراء، وأقول نعم هناك من عنده حس الوطنية والعمل من أجل الصالح العام، لكنهم نسبة قليلة، والسود الأعظم محبون لأنفسهم أناينيون

(١) هذه نفاثات حزين على الماضي وما فيه من الصفات الحميدة، وفي الوقت نفسه فهو يشكر الله على الأمان والخير الذي يعيشها البلاد، لكنه يتنفس أن يرى التآلف والتقارب والتعاون الذي كان موجوداً عند الأقدمين، ونقول هذه ضريبة الحضارة والتمدن، فالناس أصبحوا مشغولين بكسب أرزاقهم والسعى في الأرض مع التقصير في بعض الجوانب المعنوية التي تزيد من الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة أو المجتمع . وعند سماع هذه الأقوال التي أشار إليها هذا المسن تذكرت أحوال بلاد السراة الممتدة من خميس مشيط إلى الطائف، والتي تجولت في أرجائها مرات عديدة وسمعت أحاديث كثيرة من رجالها وأعيانها، فوجدت كثيراً من الأعراف القديمة الجميلة اندثرت وكثير منها أصبحت غير موجودة، مثل: التعاون والتآزر بين الناس في جميع المهن والصلات الاجتماعية، ورأيت فعلاً مئات القرى أصبحت مهجورة من أهلها، حيث ذهبوا مع أبنائهم وبناتهم إلى الحواضر والمدن الكبيرة . وتزايدت الفنون الشعبية والأهازيج والألعاب الرياضية المستوردة من خلال القنوات الفضائية والتقنيات الحديثة، وأقول إن مقارنة العادات والتقاليد والأعراف القديمة مع عادات وأعراف الناس اليوم من الموضوعات الجديدة بالدراسة، مع ذكر أهداف ونتائج وأثار هذه الصور الاجتماعية على المجتمع قديماً وحديثاً، ويستحسن الخروج بنتائج ووصيات قد تخدم في بناء المجتمع الحديث وتحفيزه على التمسك بكل فن أو عادة أصلية.

غير مبالين أو مكترثين لخدمة بيئتهم ومجتمعهم الكبير^(١).

٢. ترف الحياة ولد سلوكيات سلبية عند أفراد المجتمع (ذكوراً وإناثاً) مثل: ضياع الوقت، وتغيير نظام الحياة اليومية، كالنوم أغلب النهار، والسهر معظم أوقات الليل، أو الليل كله، والنهار أحياناً في المنازل أو خارجها، وقضاء جل الوقت في القيل والقال، كالغيبة والنعيمة، والحديث فيما لا ينفع ويفيد، وكل هذا يعود على الإنسان بالأرق والكآبة والوقوع في المعاصي والذنب^(٢).
٣. الشباب شريحة كبيرة في المجتمع، والنااظر في حياتهم سلوكياتهم، سيجد الكثير منهم غير مهتمين بالوقت، ففي النهار يذهبون إلى مدارسهم أو أعمالهم وهم متناقلون، وليس لهم أهداف واضحة، وإن عادوا آخر النهار فيقضون حياتهم حتى أوقات متأخرة من الليل في التجوال والسهر وضياع الوقت، وإن تحدثت مع شريحة منهم يقولون نبحث عن السعادة، وقضاء أوقات ممتعة، وإذا فحصت نفوس وخصائص البعض وجدتهم تعساء، فلا شيء يعجبهم، وكل ما يعيشونه من رخاء يرونـه لا شيء، والسبب أنهم ابتعدوا عن حياة الشاب المسلم الذي يراقب الله في سره وعلانـته، ولو سلكوا طريق الاستقامة على منهج الله لعاشوا سعداء متفائلـين في جميع أطوار حياتـهم^(٣).
٤. انتشار العمالة الأجنبية في كل مكان، وانتشار وسائل التقنية أحدثت متغيرات في المجتمع، وأدخلت سلوكيات وأنماط حياة مستوردة من مجتمعـات أخرى.

(١) ليس هذا الأمر مقتصرًا على محافظة خميس مشيط أو بلاد شهـران، لكنـها سلوكيات موجودـة عند غالبية الشعبـ السعودي، وبـبلاد تهـامة والـسـرةـةـ جـزءـ صـفـيرـ منـ هـذـاـ المجـتمـعـ الكـبـيرـ، والمـفـروـضـ عـلـىـ الجـمـيعـ أـنـ يـعـمـلـ لـمـصـلـحةـ نـفـسـهـ، وـالأـمـمـ مـنـ ذـلـكـ أـنـ يـعـمـلـ لـمـصـلـحةـ دـيـنـهـ وـبـلـادـهـ وـمـجـتمـعـهـ وـوـطـنـهـ .

(٢) هذه ظواهرـ نـاـشـهـداـعـنـدـ جـمـيعـ شـرـائـحـ الـجـمـعـيـعـ السـعـودـيـ، وـرـبـماـ ضـعـفـ الـوعـيـ الثـقـالـيـ وـالـدـينـيـ وـالـصـحـيـ منـ الأـسـبـابـ الرـئـيـسـيـةـ التـيـ وـلـدـتـ هـذـهـ سـلـوكـيـاتـ، وـأـيـضاـ رـفـاهـيـةـ العـيشـ، وـتـوـفـرـ المـالـ وـالـخـيرـ بـيـنـ أـيـديـ النـاسـ عـامـلـ مـهـمـ وـمـؤـثرـ . وـلـنـنـكـ أـنـ فيـ الـجـمـعـيـعـ مـنـ يـعـيـشـ حـيـاةـ مـتـزـنـةـ فيـ قـوـلـهـ وـعـمـلـهـ وـأـكـلهـ وـشـرـبـهـ وـنـمـطـ حـيـاتـهـ لـكـنـهـ نـسـبـةـ قـلـيلـةـ، وـالـنـسـبـةـ الـكـبـيرـ يـرـتـعـونـ فيـ حـيـاةـ الـخـمـولـ وـضـيـاعـ الـأـوـقـاتـ، وـعـدـمـ اـسـتـثـمـارـ الـعـمـرـ فـيـمـاـ يـفـيـدـ الإـنـسـانـ فيـ الدـارـيـنـ (ـالـدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ) .

(٣) هناك شبابـ وـشـابـاتـ جـيـدونـ فيـ حـيـاتـهـمـ الـعـامـةـ وـالـخـاصـةـ، لـكـنـ نـسـبـةـ الـفـئـاتـ التـيـ أـشـرـنـاـ إـلـيـهـاـ أـعـلـاهـ كـبـيرـةـ فيـ جـمـيعـ أـنـحـاءـ الـجـمـعـيـعـ السـعـودـيـ . وـنـحتاجـ أـنـ نـضـاعـفـ الـجهـودـ (ـأـفـرـادـ وـمـجـتمـعـاتـ، مـؤـسـسـاتـ حـكـومـيـةـ وـأـهـلـيـةـ)ـ مـنـ أـجـلـ بـنـاءـ جـيـلـ صـالـحـ يـؤـمـنـ بـأـهـمـيـةـ الـوقـتـ وـحـبـ الـوطـنـ وـخـدـمـةـ الـدـينـ . وـمـنـ الـمـؤـسـفـ أـنـ نـاـنـرـىـ صـفـةـ التـقـدـيرـ وـالـاحـترـامـ مـنـ الصـفـارـ لـلـكـبـارـ ضـعـيـفـةـ فـلـمـ نـدـنـرـىـ صـفـاتـ التـقـدـيرـ الـجمـيلـةـ التـيـ كـنـاـنـاـهـاـ فيـ الـماـضـيـ عـنـ صـفـارـ الـأـوـاـلـ تـجـاهـ كـبـارـهـ، كـمـاـ أـنـ الـكـبـارـ أـنـفـسـهـمـ يـدـرـكـونـ تـرـاجـعـ مـنـزـلـتـهـمـ وـتـبـجيـلـهـمـ عـنـ أـجـيـالـ الـيـوـمـ، وـأـسـبـابـ ذـلـكـ نـاتـجـ عـنـ إـرـهـاـصـاتـ وـسـلـبـيـاتـ عـصـرـنـاـ الـحـاضـرـ .

وتواصل المجتمعات شيء جيد إذا كانت على أساس هادفة مع الحفاظ على القيم والمبادئ وكل ما يدعوا إليه الدين من فضائل. والسائح في أرجاء أرض السروات من خميس مشيط إلى الباحة والطائف يجد تأثر الناس وقضاء أوقات طويلة مع (النت) واستخدام وسائل الاتصال المختلفة، وهذا قطعاً أثر في ضياع الأوقات، ومشاهدات الكثير من الصور السلبية التي تهدم كثيراً من القيم والثوابت الإنسانية والاجتماعية^(١).

٥. حياة الناس الاجتماعية في الأرياف والقرى مثل: بلاد خيبر، ويعرى، وتندحة مازالت أفضل في السلوك والأخلاق والقيم مقارنة بمدينة خميس مشيط، وهذا أمر طبيعي لأن حياة القرى أفضل في التماسك والترابط الأسري، أما المدينة، فكثرة السكان الذين جاءوا من بيوت عديدة من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، واتساع أحياء المدينة وتنوعها جعلت الحياة أكثر صعوبة من حيث التقارب والتجانس الشكلي والاجتماعي^(٢). والباحث في كثير من السلبيات مثل: التفكك أو العنف الأسري، أو الطلاق، أو شرب الدخان أو المخدرات أو غيرها يجدها تواجد بكثرة في مجتمع المدينة، ومن يزور بعض المؤسسات الحكومية مثل: الشرطة، والمحاكم، والمستشفيات، أو دور الرعاية الاجتماعية، وأحياناً المدارس فإنه سوف يجد صدق ما أشرنا إليه، ولا نقول إن الأرياف والقرى خالية من هذه الأمراض الاجتماعية، لكن نسبتها قليلة مقارنة بمجتمع مدينة خميس مشيط، وما شابهه من المجتمعات المدنية^(٣).

٦. انتشار الصالات والديوانيات والمقاهي في مجتمع محافظة خميس مشيط، لقد حضرت بعضاً من هذه المجالس فوجدتها تتفاوت في أعمار من يحضرها ويشارك فيها، فهناك ديوانيات جيدة فلا تسمع فيها إلا طيب القول واحترام

(١) أثرت وسائل التقنية على حياة شعوب العالم، وهذه ظاهرة عالمية، ومجتمع خميس مشيط ليس إلا جزءاً صغيراً من هذا العالم الكبير، ويجب على الأسر وعلى المؤسسات التربوية والتعليمية أن تبذل جهوداً كبيرة في تشغيل الناس وتوعيتهم عن مخاطر هذه الوسائل على المال، والصحة، والفكر والثقافة وغيرها.

(٢) دراسة التاريخ الاجتماعي لمحافظة خميس مشيط خلال الخمسة عقود الماضية من الموضوعات الجديدة والجديدة بالبحث. نأمل أن ترى باحثاً حادياً يدرس هذا العنوان دراسة علمية أكاديمية.

(٣) جامعتنا المحلية، والأقسام الأكاديمية مقصرة جداً في دراسة أمراض المجتمعات، والواجب على هذه المؤسسات العلمية والتربوية أن تضاعف الجهود في دراسة أحوال المجتمع، وتعمل على كل شيء يبني الفرد والأسرة، وهذا العمل من أهم واجبات الجامعات ومؤسسات التربية والتعليم.

الرأي وسلامة وحسن ما يذكر فيها، وهناك مجالس أخرى تهدر فيها الأوقات ويقع أصحابها والمشاركون فيها في لغو الكلام^(١).

وإذا تأملنا في اقتصاديات وثقافة وفكرة سكان محافظة خميس مشيط، وجدنا ما يلى :

أ. مدينة خميس مشيط تعد المدينة الرابعة في المملكة العربية السعودية تجاريًّا واقتصاديًّا، بعد الرياض، وجدة، والدمام، وإذا كانت تحتل هذه المرتبة المتقدمة، فذلك يعود إلى تعدد أسواقها، وكثافة سكانها، وكمية ومقدار التعامل الاقتصادي الذي يجري على أرضها^(٢). ونقول كيف لا تكون كذلك؟ وهي تحتل موقعًا استراتيجيًّا، يربط بين بلاد عسير ورجال الحجر وبقية بلاد السروات من الغرب والشمال، وببلاد قحطان ونجران وببلاد اليمن من الجنوب، وببلاد بيشة وأرض نجد من الشرق. كانت هذه المحافظة في السابق من أغنى البلاد زراعيًّا وثروة حيوانية، وفي عصرنا الحاضر صارت من كبريات المدن عمرانيًّا وتجاريًّا وسكانيًّا^(٣).

بـ .تأثر التعليم والثقافة والفكر في محافظة خميس مشيط بما حوله من المناطق، ففي الماضي لا يخلو مجتمع الخميس من كتاتيب وقصادة وقراء يعلمون الناس بعض الجوانب العلمية والمعرفية . وإن عدنا إلى عصور الإسلام المبكرة فمن المؤكد أن هذه الناحية نالها نصيب من الثقافة، وكيف لا تكون كذلك ؟ وهي جزء من مخلاف جُرش الذي ورد ذكره في كتب التراث الإسلامي، والذي منه انتشر الإسلام في أصقاع عديدة من بلاد تهامة والسراة . نعم من يقرأ كتب الترجم والتاريخ واللغة والأدب فسوف يجد أسماءً عديدة خرجت من هذه الأوطان، ثم أسلمت وحسن إسلامها، ومنهم من بقي في وطنه ينشر الخير بين أهله وبني جلدته، ومنهم من هاجر إلى أماكن أخرى عديدة

(١) نعم حضرت مجالس عديدة في وادي ابن هشيل وتنحهوة وخمير الجنوب ومدينة خميس مشيط، وللأحظت أن مجالس الأرياف أفضل وأنضف، والذي زادها جمالاً مشاركة بعض كبار السن والعلاء فيها، والوضع نفسه في بعض مجالس مدينة الخميس وبخاصة في منازل الأعيان والوجهاء والشيوخ، لكن هناك مجالس تجارية يرتادها خليط من الناس، فلا تجانس في فكر وثقافة من يحضر فيها، ومن ثم فأوقات مرتداتها يتبغض فيما لا ينفع وبيفيد.

(٢) تستحق محافظة الخميس العديد من الدراسات التاريخية والاقتصادية والسكانية، وهناك عشرات الوثائق والروابط والأقوال التي تؤكد أهمية هذه المدينة في هذه الميادين، ونأمل أن نرى أحد طلابنا في برامج الدراسات العليا في دراسة علمية أكademie وبخاصة في هذه الأيواب العلمية المهمة.

(٢) جداً أن نرى باحثاً جاداً يخرج لنا دراسة مقارنة عن بلاد الخميس مشيطة؟ وكيف كانت؟ وكيف أصحت مدينة تهارياً واقتصادها مهمة؟

فكان نبراً لنشر الفكر والثقافة العربية الإسلامية^(١).

وإذا تأملنا في الواقع محافظه خميس مشيط التعليمي والثقافي منذ ستين عاماً إلى وقتنا الحاضر، فسنجد أن هذه البلاد نالت نصياً جيداً من التعليم والفكر، وهناك عشرات السجلات والوثائق التي تشير إلى افتتاح المدارس النظامية في هذه البلاد، وإلى أعمالاً ورموزاً ثقافية أشرف على سير التعليم والثقافة في هذه الناحية^(٢)، ناهيك عن وسائل الثقافة الأخرى مثل: الجرائد، والمجلات والمكتبات، والكتب الثقافية والعلمية والمعرفية فقد وصلت إلى خميس مشيط منذ ستينيات القرن (٤١ هـ / ٢٠ م)^(٣)، ومنذ نهاية القرن الهجري الماضي إلى وقتنا الحاضر تزايدت المدارس بجميع مراحلها (بنات وبنين)، وافتتحت المعاهد العلمية والتعليمية، واليوم هناك عدد من الكليات والأقسام العلمية الجامعية^(٤). ولا يبالغ إذا قلنا أن خميس مشيط من أكبر مدن المملكة في عدد مدارسها وطلابها وطالباتها^(٥).

وفي الختام: إن محافظة خميس مشيط، قاعدة بلاد شهراً، وتحتاج إلى من يدرسها في جوانب عديدة (جغرافية، وسياسية، وإدارية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية وتعليمية وفكرية، وسياحية) . وإذا أشرنا إلى هذه الورقات إلى بعض صورها الحضارية في العصر الحديث والماضي، فذلك ليس إلا من باب التوضيح والتبيه على أهمية هذه المحافظة التاريخية والحضارية. ونأمل أن نرى من علمائها وأدبائها ومؤرخيها وساستها ورجالها من يخدمها تنموياً وبحثياً وفكرياً وحضارياً (والله من وراء القصد) .

(١) من يدرس تاريخ مخلاف جرش قديماً، أو محافظات خميس مشيط، وأحد رفيدة، وطرب اليوم فسيجد عشرات الرجال الذين ظهروا في هذه الأوطان منذ فجر الإسلام، وعبر أبوظوار التاريخ الإسلامي، وكانوا نجوماً في سماء المعرفة وبناء الحضارة الإسلامية . نأمل أن نرى باحثاً جاداً في درس تاريخ هذه البلاد منذ فجر الإسلام حتى وقتنا الحاضر، ومن يفعل ذلك فسوف يطلعنا على باب جيد من أبواب العلم .

(٢) حيث أن نرى باحثاً جاداً في درس تاريخ التعليم النظمي في محافظة خميس مشيط منذ عام (١٢٥٠ - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ - ١٩٣١ م)، مع التركيز على مؤسسات التعليم وعلى رموز التعليم في هذه البلاد .

(٣) وسائل الثقافة في خميس مشيط خلال السبعين سنة الماضية جديرة بالبحث والدراسة، نأمل أن نرى من يدرسها دراسة أكademie .

(٤) تاريخ التعليم الحديث في خميس مشيط من المناوبين الجديدة، ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه، حيث أن نرى طالباً جاداً يتعدنه موضوعاً لبحثه .

(٥) يعود ذلك إلى ازدحام هذه المحافظة وكثافة سكانها، ومن ينظر في أعداد طلاب جامعة الملك خالد في هذا العام (١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م) يجد لهم تجاوزوا (٦٠ ، ٠٠٠) طالباً وطالبة، ومحافظة خميس مشيط، أو بلاد شهراً وماجاورها تشغله حيزاً كبيراً من منطقة عسير، ونلاحظ في السنوات الأخيرة أن جامعة بيشة انفصلت عن جامعة الملك خالد، وجزء كبير من بلاد بيشة يستوطنها عشائر وفخود شهرانية، والمعروف أن قاعدة بلاد شهراً هي مدينة خميس مشيط .